البكتاشية ودورها الهدام

أسامة عبد الرحمن

مقدمة

يعتبر رصد الفرق الضالة وبيان عقائدها المخالفة لمنهج الإسلام القويم وصراطه المستقيم،وتعرية دورها في تفريق وحدة الأمة الإسلامية، وتعريف الناس بأمرها؛ بتجلية حقيقتها والتحذير منها، من أعظم القرب إلى الله تعالى، لما في ذلك من تبصير المسلمين بأسباب الخلاف الذي يبغضه الله، وبيان مساوئه، وجمع كلمة المسلمين على الحق وحملهم على اتّباعه.

وأعداء الدين ما توانوا عن حياكة المخططات ودس الدسائس لإضعاف المسلمين بتفريق جماعتهم وتشتيت كلمتهم، فابتدعوا بدعا شتى وكوّنوا فرقا عدة، ووضعوا المخططات لتشويه الإسلام وتعطيل أحكام الشريعة، مستغلين بذلك جهل المسلمين وضعفهم.

ولعل الطائفة البكتاشية في دول البلقان أقرب مثال نفذت من خلالها مثل هذه المخططات، حيث أفرغت ببدعتها الدين من فحواه وجردت الإسلام عن محتواه، ودَعت بدعوى الجاهلية وتبنت النعرة القومية فحملت المسلمين على قتال إخوانهم والوقوف مع أعدائهم تحت دعوى القومية والاستقلال عن التبعية، يشهد على ذلك الثورة التي قام بها علي باشا يانينا في جنوب ألبانيا لتعزيز موقف البكتاشية في تلك المناطق ومن ثم انتشارها في وسط وشمال ألبانيا، فبعد الانكسار الذي مني به الجيش العثماني خلال الثورة اليونانية بتواطؤ بعض قادة الجيش الانكشاري البكتاشيين قام السلطان محمود الثاني بأعمال إصلاحية وإدارية كان نتيجتها القضاء على الانكشارية والبكتاشية وإلغاء العمل بقانون الحكم الذاتي الذي تمتع به الألبان لعدة قرون، الأمر الذي أثار حفيظة الألبان فاستغلت البكتاشية ذلك وعملوا على تكريس القومية الألبانية حيث انضم البكتاشيون للمعارضة التي سعت إلى قيادة التمرد لتضررها من القانون فساعد ذلك على انتشارها خصوصاً في جنوب ألبانيا الذي كان بعد سقوط الدولة العثمانية المأوى والمركز الرئيس للطريقة في العالم.

ونظراً لعدم شهرة هذه الطريقة فقد عمدت إلى الكتابة عنها فى هذه الأسطر لكى أميط اللثام عن طائفة هذه الخطورة.

أسامة عبد الرحمن

الباب الأول

النشأة والأصول والأوراد

☆☆☆

تعريف البكتاشية

البكتاشية طريقة صوفية شيعية الحقيقة والمنشأ، لكنها مع ذلك تربت وترعرعت في بلاد أهل السنة في تركية ومصر وتنسب هذه الطريقة إلى خنكار الحاج محمد بكتاش الخراساني النيسابوري ولد في نيسابور سنة ٦٤٦هـ - ١٢٤٨م وينسب خنكار هذا نفسه إلى أنه من أولاد إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويقال إنه تلقى العلم عن الشيخ لقمان الخراساني ولا يعرف من لقمان هذا، لكن يقال إنه هو الذي أمره أن يسافر إلى تركيا لنشر طريقته الصوفية، فسافر أولاً إلى النجف في العراق، ثم حج البيت وزار وسافر بعد ذلك إلى تركيا، وكان هذا في زمان السلطان أورخان العثماني المتوفى سنة ٧٦١هـ.

ويذكر أحمد سري البكتاش دده بابا شيخ مشايخ الطريقة البكتاشية الحالي في مصر في كتابه الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة البكتاشية أن خنكار هذا نزل في قرية صوليجية فترة أويوك والتي قسمت بعد ذلك بناحية الحاج بكتاش وما زالت تحمل هذا الاسم إلى اليوم وأنه استضاف هناك رجل يسمى الشيخ إدريس وزوجته فاطمة قوتلو ملك وأنهما أنفقا أموالهما في سبيل نشر دعوة الشيخ خنكار الخراساني ولكن جاء وفد من خراسان لزيارة الشيخ خنكار فلم تجد المرأة ما تضيفهم به إلا أن باعت ثيابها واشترت طعاماً لضيوف الشيخ خنكار الخراسانيين ولما كان من عادة فاطمة هذه أن ترحب بضيوف الشيخ فإنها لم تخرج إليهم لأنها لا تملك ثياباً فعلم الشيخ خنكار بهذا من الغيب فمد يده فأخرج صرة ملابس لها، ثم مد يده أيضاً تحت البساط الذي يجلس عليه فأخرج كيسين من الذهب وأعطاهما للمرأة التي جاءت وقبلت يدي الشيخ ورحبت بضيوفه، وآمنت بكراماته.

وكانت هذه القصة هي البداية لنشر الطريقة البكتاشية وكذلك مجيء هذا الوفد الخراساني الذي راح يروج للشيخ خنكار الذي كان قد مهد الطريق للدعوة الصوفية ولهذه الطريقة الشيعية الباطنية ولا يخفى ما في هذه القصة من الصنعة، فخنكار هذا لم يخلق ثياباً، وإنما جاء بهذا الوفد الخرساني الذي تجرد بعد ذلك للدعوة الصوفية في تركيا، وصنع الشيخ هذا على أنه كرامة؛ ليسهِّل ذلك له طريق دعوته في أوساط العامة وكانت هذه القصة هي البداية لنشر الطريقة البكتاشية وكذلك مجيء هذا الوفد الخراساني الذي راح يروج للشيخ خنكار الذي كان قد مهد الطريق للدعوة الصوفية ولهذه الطريقة الشيعية الباطنية

ثم انتحل الشيخ خنكار كرامة أخرى فادعى أن فاطمة قوتلو هذه زوجة الشيخ إدريس قد حملت عندما شربت قطرات من دم الشيخ وذلك أن فاطمة هذه لم تحمل من زوجها إدريس التركي مدة عشرين عاماً فلما جاء خنكار الخراساني وكانت تصب الماء له ليتوضأ

فوقعت قطرات من دمه في الطشت فشربتها المرأة فحملت وتكرر حملها فولدت حبيبًا، ومحمودًا، وخضرًا وهؤلاء الأولاد أصروا على أن أباهم هو الشيخ خنكار فيما يذكر أحمد سري شيخ مشايخ الطريقة البكتاشية في مصر أن الشيخ خنكار هو أبوهم الروحي فقط وأن أمهم حملت من شربها دم الشيخ وأن الشيخ خنكار لم يتزوج قط طيلة حياته.

المهم أن البكتاشية طريقة غامضة، لها قانونها الخاص، ومريدون دراويش مدربون على السمع والطاعة ومغارة متطرفة فى حضن الجبل، وحلقات ذكر للمحبين والعاشقين وبابا أعظم يرقى ويعزل مشايخ التكية وقد جذبت البكتاشية آلاف المريدين، من الصفوة والعامة ورجال الدولة، ولاتزال حتى الآن لغزاً من ألغاز تاريخ مصر الحديث، لأنها ارتبطت بأسرة محمد على المالكة، التى دعمتها وقدمت لها العون، لكن حكومة يوليو٥٢ طردت دراويشها وقياداتها ومريديها من كهف السودان تكية البكتاشية بجبل المقطم، بعد خمس سنوات من نفى الملك فاروق، ومغادرته مصر

وانتشرت في الأناضول، ثم في ألبانيا تعاليمها مُستمدة من مذاهب صوفية متعددة وتعاليم الطُرق القَلَنْدَرِيَّة والحَيْدَرِيَّة، ومن معتقدات اجتماعية تسللت لهم من خلال الدِّيانات القديمة التي دخل فيها الترك قبل إسلامهم كالسَّاميّة والمانَويّة ويقول محمود عكام:مع أن جمهور البكتاشية يقولون إنهم من أهل السنّة فإنّ واقعهم يخالف هذا الادّعاء، وهم كما يبدو من غلاة الشيعة، فهم يؤلّهون عليًّا رضي الله عنه ويضعونه ضمن ثالوث: الله، محمد، علي، ويعترفون بالأئمة الاثني عشر، ويبجّلون منهم خاصة جعفراً الصادق.

لكن عدد من الدراسات الأكاديمية تؤكد أنهم على الرغم من تقديسهم للأئمة الاثني عشر وهم محل تقدير واحترام أهل السنة نفسهم ، فهم يترضون عن الشيخين ، وأيضاً هذه الدراسات لا تقطع بنسبتهم لمذهب فقهي معين لكنها تجزم بتصوفهم وتعد تراثهم الروحي إمتداداً للتصوف الفلسفي الاسلامي .

من أخطر الطرق الصوفية

تعد الطريقة البكتاشية من أخطر الطرق الصوفية الشيعية التي أسقطت الخلاقة العثمانية وانتشرت في تركيا ومصر وكانت الطرق الصوفية هي البداية العظيمة التي دخل عن طريقها الفكر الشيعي إلى العالم الإسلامي السنّي أشهرهما طريقتان، تأسست الأولى في منتصف القرن السابع الهجري وما زال لها أتباع إلى اليوم وهي الطريقة البكتاشية، وتأسست الثانية في منتصف القرن السادس الهجري وما زال لها أتباع إلى اليوم وهي الطريقة الرفاعية والطريقة الأولى أعني البكتاشية شيعية قلبًا وقالبًا ومع ذلك نشأت في تركيا عاصمة الخلافة الإسلامية واستطاعت التسلل حتى وصلت إلى الجيش الجديد (الإنكشارية)، بل وإلى بيت السلطان العثماني نفسه وأسهمت إسهامًا فعالاً في تحويل العقيدة السنية.

أصول الطريقة البكتاشية

الطريقة البكتاشية مزيج كامل من عقيدة وحدة الوجود، وعبادة المشايخ وتأليههم، وعقيدة الشيعة في الأئمة يقول أحمد سري دده بابا شيخ مشايخ الطريقة: الطريقة العلية البكتاشية هي طريقة أهل البيت الطاهر رضوان الله عليهم أجمعين (الرسالة الأحمدية ص٦٧) ويقول أيضاً: وجميع الصوفية على اختلاف طرقهم يقدسون النبي وأهل بيته ويغالون في هذه المحبة لدرجة اتهامهم بالباطنية والاثني عشرية[١] .

ويقول أيضاً:والطريقة العلية البكتاشية قد انحدرت أصولها من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعن أولاده وأحفاده إلى أن وصلت إلى مشايخنا الكرام يداً بيد، وكابراً عن كابر، وعنهم أخذنا مبادئ هذه الطريقة الجليلة [٢] .

١_الرسالة الأحمدية ص٦٨ .   ٢-الرسالة الأحمدية ص٦٩ .

نشأة الطريقة البكتاشية

وأكثر المعلومات عن مؤسسها أسطورية، ويقال إنه من مواليد نيسابور في النصف الثاني من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، درس فيها على أحمد يسوى علوماً مختلفة، ومات نحو سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م وهناك من يقول إن المؤسس الحقيقي لهذه الطريقة رجل يدعى بابا بالم توفى سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، والمرجح أن بكتاش ولي أسس الطريقة وأن بابا بالم وسّعها وأضاف إليها ونظّمها ويبدو أن موطنها كان في بلاد الأتراك وآسيا الصغرى وربما وجد لها فروع خارج هذه المناطق كمدينة القاهرة.

مراتب الطريقة البكتاشية

وقد قسم أرباب هذه الطريقة المنتسبين إلى طريقتهم على النحو التالي حسب درجاتهم:

١- العاشق: وهو الذي يحب الطريقة ويعتنق مبادئها وتسيطر عليه الروح البكتاشية، وله رغبة في الانضمام إلى الطريقة، ويكثر من الحضور إلى التكية ويسمع ما يدور بها ويرشحه الشيخ ليكون في المنزلة التالية وهي درجة الطالب.

٢- الطالب: وهو الذي يعلن رغبته في الانضمام ويرشحه الشيخ لذلك ليتقبل الإقرار، ويعطي العهد وتقام له حفلة بذلك.

٣- المحب: وهو الطالب الذي انتسب إلى هذه الطريقة بعد حفلة الإقرار والبيعة.

٤- الدرويش: الذي يتبحر في آداب الطريقة وعلومها ويلم بأركانها ومبادئها ويهب نفسه للخدمة العامة فيها.

٥- البابا: وهي درجة المشيخة ولا يصل إليها الدرويش إلا بعد مدة طويلة حيث يكون قد عرف الرموز الصوفية وأحاط بها.

٦- الددة: وهو الخليفة، ولا يمنح هذه المنزلة إلا شيخ المشايخ ويكون هذا رئيساً لفرع من فروع الطريقة في الدولة.

٧- الددة بابا: شيخ المشايخ وينتخب من بين الخلفاء وهو المدير العام لشئون الطريقة في العالم وهو الذي يعين البابوات وله حق عزل المشايخ.

كيف تصبح بكتاشيًّا؟

نشأ إبراهيم الداقوقي في بيئة بكتاشية، واختلط ببعض الدّارسين من المستشرقين ممن تخصصوا في درس هذه الطريقة، كالروسية مليكوف، وفي كتابه العلويون ص٤٧ يشرح مراسم اعتماد المريد بكتاشيًّا، على النحو التالي: يصف الزّعيم الروحاني شيخ المشايخ الـ٣٦ لرابطة البكتاشيين العالمية بدري نويان ده ده بابا مدارج سلوك المريد، بعد إجراء مراسيم المصاحبة للدخول إلى الأبواب والمقامات، وصولاً إلى طريق الحقيقة فيقول: إن الخطوة الأولى لدخول المريد إلى الطريقة البكتاشية هي التوبة النصوح، التي لا يمكن الرجوع عنها، ليتحول إلى طفل بريء كما ولدته أمّه، ويبدأ الاحتفال بسؤال المريد من قبل الشيخ البكتاشي:

هل فهمت النصائح كافة؟ هل قبلتها؟ ويجيب المريد ثلاث مرات بالإيجاب والقبول، ثم يؤمر بالسجود أمام المرشد الذي لقنه تلك النصائح وبهذه الطريقة يكون الشيخ البكتاشي قد أخذ نفسه من ذاته القديمة وأعاد إليه ذاته الجديدة العادلة الوفية، وأصبح مريدًا بكتاشيًا.

ويردد المريد في وقت طقوس الترسيم ما يؤكد ولاءه لهذه الطريقة، ومنه: سلكت طريق الهدى بعد التخبيط في الرّدى، فأفقت من غفلة إذ تبدّى الصبح وانجلى، اثنتان وسبعون فرقة ضلّت سبيل الحجى، بجاه النّبي وأهله اجعلني من زمرة من نجا، مذهبي الحقُّ هو مذهب الصادقين الأصفيا، وملاذي هو الحاج بكتاش قطب الأوليا.

ويوضح الشيخ أحمد سري بابا شيخ البكتاشية في مصر أصول الطريقة في رسالته، قائلا: ويجب على المريد البكتاشي أن يتوب عن الآثام والذنوب توبة نصوحاً، وأن يجرد نفسه من محبة الدنيا وما فيها من الزّخرف والمتاع واللهو،

وأن يكون من أهل السّنة والجماعة تقيًّا نقيًّا لا يأكل الحرام، قائماً بالمفروض والسنن، صابرًا طائعًا مداومًا على العبادة، دائبًا على قراءة الأذكار والأوراد، شجاعًا على نفسه حتى لا يتبع غواية الشيطان، سخيًّا جوادًا كتومًا للأسرار أمينًا على الأعراض، عارفًا قدر نفسه، معترفًا بفضل شيخه، متأدبًا في حضرته، معظًّما له، مؤدًّيا واجبات التكريم له، منفّذا لأوامره دون اعتراض، مهتديًا بهديه راضيًا مرضيًّا، متفانيًا في حبّ الله ورسوله وآل بيت الرسول.

نجد أسس هذه الاعتقادات في كتاب مقالات حاجي بكتاش، كما نجد أن العضو الجديد لا بدّ أن يمر عبر أبواب الشريعة (أحكام الإسلام) والطريقة (تعاليم طريقة البكتاشية) والمعرفة الصوفية والحقيقة (الخبرة المباشرة بجوهر الوجود)، وبشكل متوازٍ مع هذه الأبواب، يصبح للقرآن أربعة معان: ظاهر للعوام، وزبدة النص للحكماء،

وخفايا النصّ للأولياء، وحقيقة النصّ للأنبياء، وفيما يتعلّق بالشعائر والطقوس البكتاشية فهي لا تختلف كثيرًا عن غيرها من الطّرق الدينية، وقد تأصّلت هذه الشعائر والطقوس بالتدريج بواسطة خلفاء حاجي بكتاش، وأخذت شكلاً مختلفًا مع تطوير بالم سلطان في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي.

العهد ودخول الطريقة

لتعميد المريد أو الطالب نظام خاص في الطريق البكتاشي فعند دخوله إلى ميدان التكية يقرأ الدليل أبياتاً معينة من الشعر ثم يقول:اللهم صل على جمال محمد، وكمال علي والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم يقول:

جئت بباب الحق بالشوق سائلاً مقراً به محمداً وحيدراً (حيدر هو علي بن أبي طالب) وطالب بالسر والفيض منهما ومن الزهراء وشبير (وشبير المقصود علي بن أبي طالب أيضاً ويعنون بهذا القصير) شبراً .

ثم يقرأ الشيخ على الطالب آية البيعة: إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ثم يقول الطالب أبياتاً من الشعر يعلن بها دخول الطريق ومن هذه الأبيات:

وبالحب أسلمت الحشا خادماً لآل العبا (آل العبا يعنون بهم أهل الكساء وهم علي وفاطمة والحسن والحسين والعباس، وبعد دخول الطالب وإقامة الحفل على هذا النحو يسلم الطالب خدمة ما في التكية كأن يكون ساقياً للقهوة أو فلاحاً، أو خادماً للضيوف أو طباخاً الخ).

وملاذي هو الحاج بكتاش قطب الأولي.

الأوراد البكتاشية

والناظر في الأوراد البكتاشية يرى كيف أسست هذه الأوراد على عقيدة الشيعة الإمامية الاثني عشرية، فالورد البكتاشي يبدأ بذكر الله ثم للرسول ثم لعلي ثم لفاطمة ثم للحسن ثم للحسين ثم لعلي زين العابدين ثم الباقر، وهكذا إلى الإمام الثاني عشر عند الشيعة ثم الإعلان أن الذاكر بهذا الذكر متول للشيعة، بريء من جميع أهل السنة، ثم بعد ذلك ورد خاص في لعن الصديق أبي بكر رضي الله عنه، وكل من رضي وتابع له، ثم في النهاية إشهاد الله أن الخلفاء بعد الرسول هم الأئمة الأثنا عشر دون غيرهم وإليك بعض نصوص هذه الأوراد البكتاشية.

١- اللهم صل وسلم وزد وبارك على السيد المطهر، والإمام المظفر والشجاع الغضنفر إلى شبير وشبر قاسم طوبى وسقر (شبير: هو لقب يطلقونه على علي لأنه كان قصيراً دون الربعة ومعنى أنه قاسم طوبي وسقر أن له الجنة والنار وهو يدخل من يشاء كيف يشاء فالقسمة إليه).

٢- اللهم صل وسلم وزد وبارك على السيدة الجليلة الجميلة الكريمة النبيلة المكروبة العليلة ذات الأحزان الطويلة في المدة القليلة المعصومة المظلومة، الرضية الحليمة، العفيفة السليمة، المدفونة سراً، والمغصوبة جهراً، المجهولة قدراً، والمخفية قبراً، سيدة النساء الأنسية، الحوراء البتول العذراء، أم الأئمة النقباء النجباء فاطمة التقية الزهراء عليها السلام.

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الدس والطعن واتهام الصحابة رضوان الله عليهم بظلم فاطمة رضي الله عنها وغصبها، وادعاء العصمة المطلقة لها .

٣- اللهم صل وسلم وزد وبارك على السيد المجتبى والإمام المرتجى سبط المصطفى وابن المرتضى علم الهدى الشفيع ابن الشفيع المقتول بالسم النقيع المدفون بأرض البقيع الإمام المؤتمن والمسموم الممتحن الإمام بالحق أبي محمد الحسن (الرسالة الأحمدية ص٨٣) ولا يخفى ما في هذا أيضاً من الدس وأن الحسن بن علي رضي الله عنه مات مسموماً.

٤- وأما في الصلاة على الحسين فيقول الورد البكتاشي:اللهم صل وسلم وزد وبارك على السيد الزاهد والإمام العابد الراكع الساجد قتيل الكافر الجاحد الإمام بالحق عبدالله الحسين.

٥- وهكذا تستمر هذه الأوراد على هذا النحو ذاكرة إماماً من أئمة الشيعة الاثني عشرية إلى أن يأتي الورد الخاص بمهدي الشيعة المنتظر الذي يسمونه محمد بن الحسن العسكري فيقول الورد بالنص: اللهم صل وزد وبارك على صاحب الدعوة النبوية، والصولة الحيدرية، والعصمة الفاطمية، والحلم الحسينية والشجاعة الحسينية، والعبادة السجادية، والمآثر الباقرية، والآثار الجعفرية، والعلوم الكاظمية، والحجج الرضية، والجود التقية والنقاوة والنقوبة والهيبة العسكرية، والغيبة الإلهية، القائم بالحق والداعي إلى الصدق المطلق، كلمة الله، وأمان الله، وحجة الله، القائم لأمر الله، المقسط لدين الله،

الذابّ عن حرم الله، إمام السر والعلن، دافع الكرب والمحن، صاحب الجود والمنن، الإمام بالحق أبي القاسم محمد بن الحسن، صاحب العصر والزمان، وخليفة الرحمن، ومظهر الإيمان وقاطع البرهان وسيد الإنس والجان، المولى الولي، وسمي النبي والوصي، والصراط السوي، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، الصلاة والسلام عليك يا وصي الحسن، والخلف الصالح، يا إمام زماننا، أيها القائم المنتظر المهدي، يا ابن رسول الله، يا ابن أمير المؤمنين،

يا إمام المسلمين، يا حجة الله على خلقه، يا سيدنا ومولانا إنا توجهنا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى الله، وقدمناك بين يدي حاجتنا في الدنيا والآخرة يا وجيهاً عند الله اشفع لنا عند الله بحقك وبحق جدك وبحق آبائك الطاهرين[١]

١ـ الرسالة الأحمدية ص٨٨،٨٩.

٦- وأما في ورد التولي والتبري فإنهم يقولون: بسم الله الرحمن الرحيم،

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وما توفيقي واعتصامي إلا بالله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً والصلاة والسلام على رسولنا محمد الذي أرسله بالهدى قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى وعلى آله وأصحابه وأزواجه الهدى يا سادتي ويا موالي إني توجهت بكم أنتم أئمتي وعدتي ليوم فقري وفاقتي وحاجتي إلى الله وتوسلت بكم إلى الله واستشفعت بكم إلى الله وبحبكم وبقربكم أرجو النجاة من الله تكونوا عند الله رجائي يا سادتي يا أولياء الله صلى الله عليكم أجمعين اللهم إن هؤلاء أئمتنا وساداتنا وقاداتنا وكبراؤنا وشفعاؤنا بهم نتولى ومن أعدائهم نتبرأ في الدنيا والآخرة والعن من ظلمهم وانصر شيعتهم واغضب على من جحدهم وعجل فرجهم وأهلك عدوهم من الجن والإنس أجمعين من الأولين والآخرين إلى يوم الدين اللهم ارزقنا في الدنيا زيارتهم وفي الآخرة شفاعتهم وزدنا محبتهم واحشرنا معهم وفي زمرتهم وتحت لوائهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد وآل محمد.

ولا يخفى أيضاً ما في هذا الورد من التبري من أهل السنة جميعاً بادعاء أنهم ظلموا أهل البيت وجحدوهم حقهم وفي الورد الذي يلي هذا القول:

اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد وآخر تابع له على ذلك ولا يخفى أنهم يعنون بذلك الصديق أبا بكر رضي الله عنه وكل مسلم رضي بولايته إلى يوم القيامة وفي ختام الأوراد على المريد البكتاشي والسالك أن يشهد هذه الشهادة ويقول:وأشهد أن الأئمة الأبرار والخلفاء الأخيار بعد الرسول المختار: على قامع الكفار ومن بعده سيد أولاده الحسن بن علي ثم أخوه السبط التابع لمرضات الله الحسين ثم العابد علي ثم الباقر محمد ثم الصادق جعفر ثم الكاظم موسى ثم الرضا علي ثم التقي محمد ثم النقي علي ثم الذكي العسكري الحسن ثم الحجة الخلف الصالح القائم، المنتظر المهدي المرجى، الذي ببقائه بقيت الدنيا، وبيمنه رزق الورى،

وبوجوده ثبتت الأرض والسماء، به يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وأشهد أن أقوالهم حجة وامتثالهم فريضة، وطاعتهم مفروضة، ومودتهم لازمة مقضية، والاقتداء بهم منجية، ومخالفتهم مردية، وهم سادات أهل الجنة أجمعين، وشفاء يوم الدين، وأئمة أهل الأرض على اليقين وأفضل الأوصياء المرضيين [1].

ولا شك بعد ذلك أن هذه عقيدة شيعية كاملة حملتها هذه الأوراد، والعجيب حقاً أن هذه العقيدة الشيعية انتشرت في تركية الدولة السنية،

١-الرسالة الأحمدية ص٩٢.

وفي مصر كذلك، واستمرت هذه العقيدة الباطنية تنتشر وتنمو طيلة هذه القرون الطويلة من أواسط القرن الثامن تقريباً إلى يومنا هذا في القرن الخامس عشر الهجري وكل ذلك تحت جناح التصوف فأي تلازم أبلغ بعد ذلك وأي تطابق بين التصوف والتشيع وهل كان التصوف إلا المعبر الذي عبر عن طريقها الفكر الشيعي الباطني إلى ديار الإسلام بل هل كان التصوف إلا المعبر الذي عبرت به كل الفلسفات وكل أشكال الإلحاد والزندقة والتخريف إلى العالم الإسلامي؟!!

التكية البكتاشية

التكية البكتاشية في الغالب عبارة عن ضيعة كبيرة بها قصر فخم وقبور مزخرفة مبنية، ويقيم بها الدراويش أبداً منقطعين للخدمة، وقد تضم التكية آلاف المواشي والأنعام من البقر والغنم، وتأتيها الإتاوات والأرزاق من منتسبي التكية في القطر إذ لا يجوز للزائر الدخول إليها إلا وهو يحمل شيئاً ما يقدمه قرباناً ونستطيع أن نقول إنها مملكة أو إمارة خاصة

لذلك فالمنتسب إلى هذه الطريقة لا بد أن يكون خادماً في هذه المملكة الخاصة لأسياده المشايخ الذين يتربعون على عرش الولاية البكتاشية يقول أحد سري دده بابا: والمنتسب إلى الطريقة العلية تنتظره واجبات كثيرة يؤديها في منزله وفي التكية عند زيارته لها فالواجبات المنزلية هي إقامة الصلوات في أوقاتها وتلاوة الأوراد والأذكار المأذون بتلاوتها وحفظ الأدعية المأثورة، وفي التكية يكلف بالخدمة مع الدراويش ثم يخصص للخدمة مثل سقاية القهوة أو خدمة الضيوف أو إعداد الطعام وتجهيز المائدة وغسل الأواني أو خدمة الحديقة، فإذا حذق التعاليم كلفه الشيخ بخدمة أرقى فيعين نقيباً أو دليلاً أو ميدانجياً وهكذا أهـ .

ومن أشهر تكاياها ما كان بجوار القسطنطينية، وتكية عثمان جيك في الشمال من آسيا الصغرى، وتكية قبر بطّال إلى الغرب من أسكي شهر، وهناك عدد من التكايا في القاهرة على جبل المقطّم وكان بإمكان الطريقة أن تتسع في تركيا أكثر لولا أنها ائتلفت وتجانست مع الحركات الشيعية المتطرفة

وأضحت غير متفقة مع معتقدات الأتراك خاصة، في الوقت الذي كانت فيه الحروب قائمة بين الأتراك من جهة والصفويين من جهة ثانية وماتزال البكتاشية موجودة في البلقان لاسيما ألبانيا حيث يقيم زعيمهم في تكية تيرانة، وتبدو البكتاشية اليوم أقرب إلى الفرق منها إلى الطريقة .

أسس الشيخ خنكار أول تكية صوفية للطريقة وابتدأ الأتباع والرواد يكثرون، ويسكنون في هذه القرية التي لم تكن إلا سبعة بيوت فقط ثم اكتشفوا جبلاً من جبال الملح سموه جبل ملح الحاج بكتاش، واشتهر هذا الملح حتى كان يمون ويزود مطابخ السلطان العثماني الذي كان يحصل منه على مليونين أقة والأقة وزن يكبر عن الكيلو بقليل كل عام.

ولما ذاع صيت الشيخ خنكار بكتاش ووصل الأمر إلى السلطان أورخان العثماني المتوفى سنة ٧٦١هـ عمد هذا السلطان إلى الشيخ خنكار ليعلم أولاد الأسرى من أهل الذمة، وممن لا أب لهم ينشئهم على طريقة الدارسين البكتاشية.

وكانت هذه فرصة ذهبية لانتشار الطريقة وذلك أن هذا الجيش الذي عرف بعد ذلك بالجيش الإنكشاري -أي الجيش الجديد- وهو الذي كان عماد الحروب التركية بعد ذلك، ثم كان هو الجيش المتسلط على مرافق الحياة كافة في تركيا وهكذا استطاعت الطريقة البكتاشية أن تنتشر وأقيمت المقامات على قبور من مات من مشايخها، وبعض هذه القبور غطيت بالذهب الخالص تنافس السلاطين العثمانيون في بناء التكايا والزوايا والقبور البكتاشية.

مر على الطريقة البكتاشية أيام مد وجزر في تركيا فبينما ناصرها بعض السلاطين، عارضها آخرون مفضلين طريقة أخرى غيرها فقد أمر السلطان محمود الثاني بإلغاء الإنكشارية بعد أن عاثت في الأرض فساداً، وأغلق كذلك الزوايا البكتاشية ولكن السلطان عبد المجيد المتوفى سنة ١٢٥٥هـ عاد وأمر بفتح الزوايا البكتاشية مرة أخرى.

وفي سنة ١٩٢٥م صدر مرسوم الحكومة التركية بإلغاء جميع الطرق الصوفية ومن ضمنها الطريقة البكتاشية، وكان آخر مشايخها هو صالح نيازي الذي سافر إلى ألبانيا وانتخبه الدراويش البكتاشيون ليكون (رده بابا) وهي أعلى منزلة في الطريقة أي شيخ مشايخ الطريقة وبعد اغتيال صالح نيازي هذا سنة ١٩٤٢م تولى بعده ابنه عباس دده بابا الذي قتل نفسه سنة ١٩٤٩م بعد دخول البلاشفة إلى ألبانيا ومنذ ذلك الوقت انتقل المركز الرئيسي للطريقة ليتحول إلى مصر وتكون القاهرة هي المقر الحالي والأخير لهذه الطريقة فكيف دخلت هذه الطريقة إلى مصر وكيف استقرت فيها ثم أصبحت هي مكانها الرئيسي بعد تركيا وألبانيا؟

الباب الثاني

عقائد البكتاشية

يفرض أرباب الطريقة على المريد أن يغتسل قبل زيارة التكية وأن يأخذ معه هدية فإذا وصل الباب سمى ولا يجوز له أن يطأ العتبة برجله، لأنها مقدسة ثم يلتحق بالخدمة التى تطلب منه، وفى وقت المجلس يجلس حسب مرتبته، ولكل شخص مرتبة خاصة، والمراتب بالأقدمية، ثم يذهب المريد بعد دخول التكية والاستراحة إلى القبر الموجود فى التكية، ولزيارة القبر آداب خاصة منها السلام المخصوص، ثم العودة بظهره إلى خارج الضريح، والشيخ فى العادة لا يجلس مع المريدين، ولا يزار إلا إذا صدر الإذن بذلك من الشيخ، ولا يزوره المريد إلا بصحبة الدرويش المختص،

فى عام ١٨٥٩ صدرت أوامر ملكية فى مصر، بتخصيص المغارة التى دفن فيها قبو غوسز مقراً للبكتاشية، وفى ١٩٥٧ أخليت تكية المقطم فى عهد آخر باباوات البكتاشية، أحمد سرى دده بابا الذى تولى تكية المقطم فى ٣٠ يناير ١٩٤٩، حيث أقام بها وأنشأ بها العديد من المنشآت والنافورات الجميلة وأضاء حجرات الدراويش بالكهرباء.

وللطريقة البكتاشية قانونها الخاص، كما وضعه أحمد سرى دده بابا آخر الشيوخ البكتاشية فى مصر الذى يشرح الطريقة بأنها أخوية ديمقراطية منزهة عن الأغراض الشخصية، خالية من التعصب الدينى وتصدرت المادة الثانية من قانون البكتاشية، عبارة محظور على رجال الطريقة الاشتغال بالسياسة، وكل من يثبت خروجه على مبادئ الطريقة يفصل نهائياً،

هكذا رحل آخر باباوات البكتاشية حاملاً معه أسراراً عديدة، حول فترة مهمة من تاريخ مصر، لتبقى عدة علامات استفهام اجتهد البعض فى الإجابة عنها، مثل تدخل بعض باباوات الطريقة، فى تشكيل ملامح السياسة العامة، فى مصر أثناء تولى الأسرة العلوية مقاليد السلطة.

تصوف البكتاشية.. خلطة شيعية سُنية

الطريقة تؤكد على أن يكون البكتاشي من أهل السّنة والجماعة، تقيًّا نقيًّا لا يأكل الحرام، والاقرار بالثلاثي: الله محمد علي.

تشيّعوا للأئمة من أهل البيت، لكنهم طافوا ورقصوا وطوّروا تراثاً غنائياً موسيقياً ثرياً من السماع بجلوا الحلاج وجلال الدين الرومي ولم يهتموا بالفقه الجعفري مسيحيون كثر اعتنقوا الإسلام من خلال دخولهم في طريقتهم، وفي المقابل، عندما أراد يهود الدونمة اعتناق الإسلام ظاهرياً، والإبقاء على تمسكهم بدينهم الأصلي داخلياً، لم يجدوا أفضل من الانخراط في هذه الطريقة.

ادعاء أنهم من أهل السنة

لقرون طويلة أصرّ البكتاشيّون في السلطنة العثمانية على انتمائهم السنّي، خاصة مع المؤسس التنظيمي للفرقة، بالم سلطان، مطلع القرن السادس عشر ومن الناس من اعتبر هذا الإندماج بالقالب السنّي تقية وتورية، ومنهم من اعتبره مزاوجة بين حب شيعي لآل البيت، وغربة عملية عن التراث الفقهي للتشيّع، كما أنّ حب آل البيت في البكتاشية، ودمجهم بين النوروز وميلاد الإمام علي، واحياؤهم بشعيرة خاصة وبطعام خاص بهم لذكرى عاشوراء، انما يتكامل مع تبجيلهم لأعلام الصوفية، مثل الحلاج الذي تبدأ طقوس الانخراط في البكتاشية بتعليق المبتدىء في دار المنصور، وهي مشنقة الحلاج، ومثل جلال الدين الرومي، في حين تتأرجح التقديرات الدراسية حول أثر ابن عربي عند البكتاشية، وحول مدى قولهم بوحدة الوجود وفي البكتاشية تأثير مهم من فرقة الحروفية، يتضح خصوصاً فى كيفية رسم صور علي والحسن والحسين بتركيبة مشكلة من حروف أسمائهم.

تنفير الصوفية الناس عن العلم الشرعي:

لقد نفر الصوفية الناس عن العلم الشرعي بوصفهم له بأوصاف منفرة حيث وصفه بعضهم بأنه آفة المريد ووصفه البعض منهم بأنه يفرق الاهتمامات ووصف طلب العلم بأنه ركون إلى الدنيا وانحطاط من الحقيقة إلى العلم ووصفه بعضهم بأنه موحش ووصفه بعضهم بأنه حجاب.

وإليك النصوص الدالة على ذلك من بطون كتبهم: فقد وصف أبو بكر الوراق كتابة الحديث والاهتمام به بأنه من الآفات التي يجب أن يبتعد عنها المريد فقال: آفة المريد ثلاث: التزوج وكتابة (الحديث والأسفار) .

ويقول الجنيد: إذا لقيت الصوفي فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه .

واعتبر بعض المتصوفة طلب الحديث النبوي بأنه ركون إلى الدنيا حيث قال: إذا طلب الرجل الحديث أو سافر في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن إلى الدنيا ووصف بعضهم العلم بأنه حجاب عن الله حيث قال أبو يزيد البسطامي: أشد المحجوبين عن الله ثلاثة: الزاهد بزهده والعابد بعبادته والعالم بعلمه .

ولقد صرح أحد كبار المتصوفة بأن المتصوفة لم يتعلموا العلم ولم يحرصوا على دراسته فقال: اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الإلهية دون التعليمية لذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون بل قالوا الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال على الله تعالى بالهمة وذلك بأن يقطع الإنسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو نفسه في زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرن همه بقراءة القرآن ولا بالتأمل في نفسه ولا يكتب حديثاً ولا غيره

ولا يزال يقول الله الله الله إلى أن ينتهي إلى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحو عن القلب صورة اللفظ   فالنصوص المتقدمة كلها توضح لنا موقف المتصوفة من العلم وتثبت لنا أن المتصوفة من ألد الأعداء لعلوم الكتاب والسنة حيث أن النصوص المتقدمة صرحوا فيها بعدائهم للقرآن والسنة بنهيهم وتحذيرهم عن طلب الحديث النبوي وتلاوة كتاب الله عز وجل فهل هناك جريمة أكبر من الذي يحذر عن تلاوة القرآن وكتابة الحديث النبوي وطلبه بل وطلب العلم عموماً ولم يقدم زعماء الصوفية على هذا عن جهل منهم بل أقدموا عليه عن تخطيط وتدبير ومكر ومكيدة لأنهم يعلمون جيداً أن أباطيلهم لا يمكن أن يقبلها الناس إلا إذا كانوا جهالاً لا يعلمون شيئاً عن الكتاب والسنة فعلم الكتاب والسنة نور يكشف عورات هذه الظلمات التي يدعو لها أرباب التصوف عوام الناس

لأنه بالعلم ينكشف للناس حقائق طرقهم وزيف أقوالهم وبالعلم يتبين المنكر وبالعمل به يتم الإنكار وقد علم الصوفية أن الإنكار أصبح حجر عثرة أمامهم وأعاق طريقهم والمنكر لا يمكن أن يعرف إلا عن طريق العلم لذا نفروا الناس منه ودعوهم إلى الابتعاد عنه وشغلوهم بحلقات الرقص ونوادي الوجد والسماع ولبس الخرقة والتزام الخلوات المظلمة وغير ذلك من بدعهم المنكرة.

ولقد حث الإسلام على العلم وأعلى من شأنه ومما يدل على ذلك الأدلة الآتية من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأول سورة نزلت من القرآن جاء الأمر فيها بالقراءة وهي سورة العلق حيث قال تعالى (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)وقد أمر الله سبحانه بالعلم قبل العمل فقال: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ).

وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن أولى الناس بخشية الله سبحانه وتعالى هم العلماء فقال: إِنَّمَا يَخْشَى اللهَّ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللهَّ عَزِيزٌ غَفُورٌ.

وقد أنكر الله سبحانه وتعالى أن يستوي العالمون والجاهلون فقال تعالى (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ).

أما الأدلة من السنة في الحث على طالب العلم وفضله فكثيرة جداً وإليك نبذة منها:

الحديث الأول: حديث معاوية رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) .

الحديث الثاني: الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سلك طريقا يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة) قال الترمذي عنه: حديث حسن.

الحديث الثالث: الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع) .

الحديث الرابع: الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (اللهم علمه الكتاب) .

فالآيات والأحاديث السابقة كلها تفيد بأن الإسلام دعا إلى العلم ورفع شأنه وشأن أهله ووعد على طلبه الأجر العظيم والثواب الجزيل وأن كل دعوة إلى الابتعاد عن العلم والتنفير منه ما هي إلا محادة لله ولرسوله وتدمير وقتل لمواهب الأمة الإسلامية لأنه ما من أمة ابتعدت عن العلم إلا وانتشر فيها الجهل وأي أمة انتشر فيها الجهل فإنها تدمر وتصبح لقمة سائغة لأعدائها.

ولم يدع الصوفية إلى الابتعاد عن العلم الصحيح إلا ليصبح الناس جهلة حتى تسهل قيادتهم إلى حيث يشاءون وينشرون فيهم أفكارهم الخرافية الوهمية التي لا تستطيع أن تثبت أمام الحقائق العلمية لذا نرى دائماً زعماء الطرق الصوفية يحاربون علم الكتاب والسنة لأنهم يعلمون يقيناً أنهم لا وجود لهم ولا لأفكارهم الضالة إذا فهم الناس دينهم كما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله عز وجل لأن أفكار الصوفية لا يمكن أن تعيش إلا في الظلام الحالك كالسباع التي لا تخرج إلا ليلاً لتبحث عن فريستها فكذلك الصوفية يريدون أن يبقى الناس جهالا حتى يسهل إخضاعهم لهذه الأفكار المنحرفة.

طلب الهداية فى غير الكتاب والسنة

من يقرأ في كتب المتصوفة يلاحظ أن القوم لا يهتمون بعلم الكتاب والسنة اللذين لا يمكن الحصول على الهداية إلا عن طريقهما لأنهم يزعمون أن لهم علوماً خاصة يتلقونها عن الله سبحانه وتعالى مباشرة عن طريق الكشوفات المزعومة وبالإضافة إلى ذلك يزعمون أنهم يلتقون بالأنبياء بعد موتهم ويتعلمون منهم علوماً وبالأولياء وعلى رأس الأولياء يزعمون أنهم يلتقون بالخضر ويتعلمون منه العلوم اللدنية ولم يكتف المتصوفة بهذا الإدعاء بل صرحوا بأن علومهم التي يتلقونها عن الله بلا واسطة كما يزعمون أفضل من العلوم أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لذا نفر المتصوفة الناس عن تعلم العلوم الشرعية وهذا مكر ومكيدة ودهاء وخبث منهم لأنهم يعلمون أن علومهم الوهمية الخيالية التي يزعمون أنهم يتلقونها عن طريق المنامات والأحلام والرؤى والهتافات والكشوفات لا يمكن أن يقبلها منهم الناس إذا تعلموا الكتاب والسنة إلا إذا نفروا الناس عن العلوم الصحيحة التي مصدرها الكتاب والسنة حتى لا تتبدد أباطيلهم فتصبح هباء منثوراً لأنها ما هي إلا كالسراب الذي يحسبه الظمآن ماءاً حتى جاءه لم يجده شيئاً.

غلوهم في الرسول صلى الله عليه وسلم

من أهم العوامل التي أدت إلى انحراف المتصوفة عن الطريق المستقيم الغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم والأولياء ولقد حذر الإسلام من الغلو بجميع صوره وعاب على أهل الكتاب غلوهم في دينهم فقال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ وما وقع الغلو في أمة إلا وأهلكها فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال محذرا أمته من الغلو: (إياكم والغلو فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين) وما اجتاحت الشياطين عن فطرتها إلا بالغلو في رجال صالحين ذكرهم الله سبحانه في كتابه فقال تعالى (وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا) وعن أنس رضي الله عنه أن ناسا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا

فقال: (يا أيها الناس قولوا ببعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل) بمثل هذا نهي الإسلام عن الغلو لأن الغلو هو السبب الرئيس في حدوث الشرك بالله لأول مرة في تاريخ البشرية .

غلوهم في الأولياء

ولقد غلا المتصوفة في الأولياء كما غلوا في الرسول صلى الله عليه وسلم غلواً شديداً حتى رفعوهم إلى منزلة الأنبياء ولم يقفوا عند هذا بل تجاوزوا بهم منزلة الأنبياء حتى أوصلوهم إلى منزلة الألوهية والربوبية فوقعوا بذلك في عقائد باطلة تصطدم تماماً مع العقيدة التي جاء بها محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ونحن هنا لا نريد أن نتتبع الانحرافات التي وقع فيها الصوفية تجاه الأولياء وإنما غرضنا هنا هو الإتيان ببعض النماذج لكي نثبت أن من أهم العوامل التي أدت إلى انحراف المتصوفة هو غلوهم في الأولياء وإليك البرهان على ما نقول:

١ـ الانحراف الأول: رفع مشايخهم إلى منزلة الألوهية والربوبية:

أولاً: النصوص عن ذلك من كتبهم: قال ابن عربي في منزلة القطب: (القطب هو مركز الدائرة ومحيطها ومرآة الحق عليه مدار العالم له رقائق ممتدة إلى جميع قلوب الخلائق ومنزلة حضرة الإيجاد والصرف فهو الخليفة ومقامه تنفيذ الأمر وتصريف الحكم وحاله الحالة العامية لا يتقيد بحال تخصيص فإنه الستر العام في الوجود وبيده خزائن الوجود والحق له متجل على الدوام وله من البلاد مكة ولو سكن حيث ما سكن بجسمه فإن محله مكة ليس إلا) .

ولم يكتف الصوفية بهذا بل ادعوا أن مشايخهم لهم قدرة كاملة على إجابة كل من استغاث بهم وأنهم يستطيعون تفريج كرب من دعاهم بل بالغوا فيهم حتى زعموا أنهم باستطاعتهم أن يتحدوا الله في قضائه وقدره وإليك الدليل :

فقد ذكر صاحب كتاب (مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني) راوياً عن الرفاعي (توفي أحد خدام الغوث الأعظم وجاءت زوجته إلى الغوث فتضرعت والتجأت إليه وطلبت حياة زوجها فتوجه الغوث المراقب فرأى في عالم الباطن أن ملك الموت عليه السلام يصعد إلى السماء ومعه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم فقال: يا ملك الموت قف وأعطني روح خادمي فلان وسماه باسمه فقال ملك الموت: إني أقبض الأرواح بأمر إلهي وأؤديها إلى باب عظمته كيف يمكنني أن أعطيك روح الذي قبضته بأمر ربي؟؟ فكرر الغوث عليه إعطاءه روح خادمه إليه فامتنع من إعطائه وفي يده ظرف معنوي كهيئة الزنبيل فيه الأرواح المقبوضة في ذلك اليوم فبقوة الحب جر الزنبيل وأخذه من يده فتفرقت الأرواح ورجعت إلى أبدانها فناجى ملك الموت عليه السلام ربه

وقال يا ربي أنت أعلم بما جرى بيني وبين محبوبك ووليك عبد القادر فبقوة السلطنة والصولة أخذ مني ما قبضته من الأرواح في هذا اليوم فخاطبه الحق الله عز وجل جلاله: يا ملك الموت إن الغوث الأعظم محبوبي ومطلوبي لم لم تعطه روح خادمه وقد راحت الأرواح الكثيرة من قبضتك بسبب روح واحد فتندم هذا الوقت) وذكر أحد الصوفية أن الشيخ محمد صديق وقع في البحر ولم يكن يعرف السباحة فكاد أن يغرق فناداه أي عبد القادر مستغيثا به فحضر وأخذ بيده وأنقذه من الغرق.

وحكى في نفس الصفحة أنه كان جالساً يوماً مع أصحابه في رباطه إذ ابتلت يده الشريفة وكمه إلى إبطه فعجبوا من ذلك وسألوه عنه فقال استغاث بي رجل من المريدين تاجراً كان راكباً في السفينة وقد كادت أن تغرق فخلصتها من الغرق فابتل لذلك كمي ويدى فوصل هذا التاجر بعد مدة وحدث بهذا الأمر كما أخبر الشيخ فلو نظرنا في النصوص المتقدمة نلاحظ أن الصوفية يجيزون الالتجاء إلى المخلوق والاستغاثة به ويقولون أن بإمكان الولي أن يعلم بكل ما في هذا الكون وهو جالس في مكانه وأن باستطاعته تغيير القدر الذي قدره الله في الأزل وأنه يسمع كل من ناداه واستغاث به ويفرج عنه كربه .

ولنبدأ بمناقشة موضوع الاستغاثة بغير الله والالتجاء إلى غيره بإيجاز شديد جدا.

فالصوفية كما اتضح لنا في النصوص السابقة التي نقلناها عنهم يجيزون الاستغاثة بغير الله والالتجاء إلى غيره عند الشدائد والملمات مع أن الاستغاثة تعتبر عبادة لأن الاستغاثة هي طلب الغوث وهي بمعنى الدعاء وإذا كان الأمر كذلك فلا يجوز الاستغاثة بغير الله لأنها عبادة لا يجوز صرفها لغير الله سبحانه وتعالى بل يجب أن يعبد الله وحده ولا يشرك معه أحد غيره في عبادته سبحانه وتعالى وبما أن المخلوق ليس لديه القدرة على إغاثة من استغاث به فلا يجوز التوجه إليه بالدعاء وطلب الإغاثة إذا كان غائبا أو ميتا أما إذا كان حاضرا فيجوز طلب الغوث منه فيما يقدر عليه فقط وادعاء الصوفية بأن مشايخهم بإمكانهم إغاثة من استغاث بهم بعد مماتهم أو في حياتهم حال غيابهم يعتبر كذباً محضاً وافتراء على الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين لأن المغيث هو الله وحده لا شريك له أما من عداه فلا يستطيع أن يغيث أحدا وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى على أن أي مدعو من دونه لا يملك كشف ضر عن أحد أو تحويله عنه

فقال تعالى قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً[٥٦: الإسراء]وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن المشركين دعوا شركاءهم فلم يستجيبوا لهم فقال تعالى(وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن أي مدعو من دونه لا يملك شيئاً ولو كان صغير الحجم قليل القيمة قال تعالى (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) فهذه النصوص القرآنية تفيد بأن المدعو من دون الله سبحانه وتعالى لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن غيره لذا فلا يجوز دعاء غير الله عز وجل وكل من خالف هذه النصوص ودعا غير الله عز وجل يعتبر وقع في الشرك الأكبر الذي يعتبر أكبر ظلم عصي به الله عز وجل على الإطلاق.

٢ـ الانحراف الثاني الذي وقع فيه الصوفية بسبب غلوهم في مشايخهم هو الادعاء بأن لهم علوماً خاصة يتلقونها عن الله وعن رسوله مباشرة فلقد وصل الغلو بالصوفية أن ادعوا أن لمشايخهم علوماً خاصة يتلقونها عن الله مباشرة تختلف تماماً مع العلوم التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه وادعوا أيضاً أنهم يتلقون علوماً خاصة بهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسمون هذه العلوم علوم الخاصة أي علوماً يختصون بها هم دون سائر الأمة الإسلامية وإليك الأدلة من بطون كتبهم:

قال صاحب الرماح الذي بهامش جواهر المعاني في الفصل الثاني والعشرين: إنهم لا ينطقون إلا بما يشاهدون ويأخذون عن الله ورسوله الأحكام الخاصة للخاصة لا مدخل فيها للعامة لأنه صلى الله عليه وسلم كان يلقي إلى أمته الأمر الخاص ثم قال: إن الكامل منهم ينزل عليه الملك بالأمر والنهي ونقل الشعراني عن ابن عربي أنه قال:حدثني قلبي عن ربي أو حدثني ربي عن قلبي أو حدثني ربي عن نفسه بارتفاع الوسائط .

فالنصان السابقان يدلان دلالة واضحة على أن الصوفية يؤمنون بأن مشايخهم يتلقون علوماً خاصة بهم عن الله مباشرة والرد عليهم بإيجاز: إن ادعاءهم هذا يؤدي بهم إلى القول بعدم ختم النبوة وبقاء بابها مفتوحاً لكل من يدعي التلقي عن الله وهذا يعتبر انحرافاً عقدياً خطيراً لأن عقيدة ختم النبوة تعتبر من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة يعرفها العامي فضلاً عن العالم فكل من يدعي أنه تنزل عليه علوم من الله سبحانه وتعالى يعتبر دجالاً مفترياً على الله يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا يجب أن تقطع عنقه حتى لا يفتن المسلمين في دينهم لأن ادعاء التلقي عن الله يؤدي إلى الإتيان بأحكام وعقائد جديدة تختلف مع العقيدة والشريعة التي أتى بها محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام من ربه وإذا اعترض عليه أي معترض يستطيع أن يقول بكل سهولة أنه تلقاه عن الله تعالى كما يزعم الصوفية ذلك وهذا يعتبر هدماً وتقويضاً للعقيدة والشريعة الإسلامية والقضاء عليها نهائياً.

٣ـ الانحراف الثالث الذي وقع فيه الصوفية بسبب غلوهم في المشايخ: هو الادعاء أن لهم اطلاع على الغيب: فلقد وصل غلو الصوفية في مشايخهم أن زعموا أنهم يعلمون الغيب حيث ادعوا أن الأولياء يعلمون الأشياء المكتوبة على أوراق الشجر والماء والهواء وكل ما في البر والبحر وما في السماء وكل ما يقع للإنس والجن في حياتهم وبعد مماتهم وأنهم يسمعون كل من ناداهم من قريب أو بعيد فيقضون له طلبه وإليك الأدلة على هذا من بطون كتبهم: فقد قال إبراهيم الدسوقي في معرض حديثه عن خصائص العارف بالله عندهم:وكذلك لهم الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء وما في البر والبحر وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء وما في حياة الإنس والجان مما يقع لهم في الدنيا والآخرة ولا يحجب من حكيم يتلقى علما من حكيم عليم والخلاصة أن غلو المتصوفة في مشايخهم واعتقادهم بأنهم يعلمون الغيب يعتبر اعتقاداً فاسداً وأن الواجب عليهم التراجع عن هذا الغلو الذي صار سبباً في ضلالهم كما ضل بسببه كثير ممن كان قبلهم من الأمم الماضية ومعروف أن أول شرك حصل في الأرض كان سببه الغلو في رجال صالحين.

<u>الهداية تأتى عن طريق الهواتف</u>

ادعى كثير من المتصوفة أن الهداية تأتي إليهم عن طريق الهواتف والدليل على ذلك: ذكر إبراهيم بن أدهم أن أباه كان من ملوك خراسان وأنه خرج يوماً للصيد وأثار ثعلباً أو أرنباً ثم قال إنه هتف به هاتف وسمع صوته ولم يره وقال له يا إبراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ؟ ثم يذكر أن الهتاف عاوده فقال: ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت ثم قال إنه أخذ جبة راعي أبيه وانطلق هائماً في الصحاري والغابات والأودية والجبال طلباً للهداية والتقى بسليمان عليه السلام وعلمه اسم الله الأعظم ثم جاءه الخضر وقال له: إن الذي علمك اسم الله الأعظم هو أخي داود

ثم قال إبراهيم بن أدهم إنه التقى بأسلم بن يزيد بالاسكندرية فقال له: من أنت يا غلام؟ قلت شاب من أهل خراسان قال: وما حملك على الخروج من الدنيا؟ قلت زهداً فيها ورجاء الثواب من الله تعالى.

فقال: إن العبد لا يتم رجاؤه لثواب الله تعالى حتى يحمل نفسه على الصبر فقال رجل ممن كان معه وأي شيء الصبر فقال إن أدنى منازل الصبر أن يروض العبد نفسه على احتمال مكاره الأنفس قال قلت ثم مه قال إن كان محتملاً للمكاره أورث الله قلبه نوراً قلت وما ذاك النور؟ قال سراج يكون في قلبه يفرق به بين الحق والباطل والناسخ والمتشابه.

ثم قال إبراهيم بن أدهم قال له رجل من أصحاب أسلم بن يزيد أضربه فأوجعه فإنا نراه غلاماً قد وفق لولاية الله تعالى.

وبتحليل هذه القصة نستنتج الأمور التالية:

الأمر الأول: أن الهداية جاءت لإبراهيم بن أدهم من هاتف هتف به وهذا الطريق الذي سلكه إبراهيم بن أدهم طالباً للهادية يختلف تماماً عن الطريق الذي رسمه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطلب الهداية فالهداية دائماً إنما تطلب بالعودة إلى تلاوة كتاب الله

وفهم معانيه والاهتمام بدراسة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يمكن أن تكون الهواتف طريقاً للهداية لأن الهواتف أنواع شتى فقد يكون الهاتف شيطاناً ويأمره بشيء فيضل الطريق لذا فالأحلام والرؤى والمنامات والهتافات أو الهواتف لا وزن لها في الشريعة الإسلامية فضلاً عن أن تكون أسباباً للهداية.

الأمر الثاني: إن خروج إبراهيم عن وطنه وتركه لماله وأهله وخلق ثيابه وبعده عن الدنيا كلها ليست من الإسلام في شيء لأن الإسلام لا يأمر المسلم أن يهاجر من وطنه إلا إذا اضطهد فيه وأصبح لا يتمكن من أداء الشعائر الإسلامية فحينئذ تجب الهجرة وخراسان بلد إبراهيم لم تكن كذلك.

الأمر الثالث: ثم إن ادعاء بن أدهم أنه لقي داود عليه السلام وعلمه اسم الله الأعظم.

أولا وقبل كل شيء ما الذي دعا دواد عليه السلام للعودة إلى الدنيا مرة أخرى ليعلم فرداً من أفراد أمة محمد صلى الله عليه وسلم اسم الله الأعظم مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لعمر: (والله لو كان موسى حياً لما وسعه إلا أن يتبعني) فكذلك داود لو عاد حياً لم يسعه إلا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يجوز له أن يقوم بتعليم الناس شيئاً يعلمه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على حد زعم المتصوفة وإلا فاسم الله الأعظم ليس مجهولا حتى يأتي داود ويخرج من قبره ليعلمنا إياه بل هو معروف من ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد ورد في الحديث الصحيح: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو قائلا: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحداً فقال صلى الله عليه وسلم: قد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب) .

الأمر الرابع: نستنتج من قصة إبراهيم بن أدهم أنه بالمجاهدة والصبر يحصل النور الذي يعرف به الحق والباطل والناسخ والمتشابه

ونقول إن مجرد المجاهدة والصبر مهما كانت لا يمكن أن تعلم الإنسان لابد من التعلم لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما العلم التعلم) نعم الاجتهاد في طلب علمي الكتاب والسنة والصبر فيهما يجعل قلب الإنسان منيراً لأن العلم نور والجهل ظلام فالاجتهاد في العلم الذي جاء به رسول الله من عند الله وهو علم الكتاب والسنة الذي من تعلمه عرف الحق من الباطل والله عز وجل يقول فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ.

فالله عز وجل أمر بالعلم قبل العمل بخلاف المتصوفة فإنهم يأمرون بالعمل على الجهل من أجل الحصول على العلم الذي يزعمون بأنه يقذف في قلوبهم بسبب المجاهدة.

الأمر الخامس: نأخذ من قول أسلم بن يزيد لإبراهيم بن أدهم: يا غلام إنا قد أفدناك ومهدناك وعلمناك علماً أن للمتصوفة طريقاً آخر يتلقون منه العلوم غير العلوم التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه حسب زعمهم وقد صرح المتصوفة بأن هناك علماً آخر غير العلم الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله ومما يدل على هذا قول الغزالي فقد قسم العلوم إلى أقسام وذكر من جملة الأقسام علم يسمى علم المكاشفة فقال:

القسم الأول: علم المكاشفة: هو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله وهو علم الصديقين والمقربين أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة ثم قال: فنعني بالعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى يتضح له الحق جلياً في هذه الأمور وضوحاً يجرى مجري العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا

وإنما نعني بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية صقل هذه المرأة عن الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وهذه العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله وهو المشارك فيه سبيل المذاكرة وبطريق الإسرار وهذا هو العلم الخفي الذي يوصف بالعلم المكنون فقد قيل في وصفه أن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى.

استهزاء الصوفية بعلماء الأمة الإسلامية

لقد استهزأ الصوفية بعلماء الأمة الإسلامية ووصفوهم بأوصاف تحط من قدرهم حتى ينفروا الناس عنهم ويسقطوهم من عيونهم وإليك الأدلة على ذلك: فقد وصف أحد الصوفية الكبار الطريقة التي نقلت بها السنة النبوية بأنها طريقة لا يسلكها إلا المساكين وصرح بأن الصوفية يأخذون علمهم عن الله مباشرة وإليك نص كلام هذا الصوفي:

فقد قال إبراهيم بن سبتيه: حضرت مجلس أبي يزيد والناس يقولون فلاناً لقي فلاناً وأخذ من علمه وكتب منه الكثير وفلاناً لقي فلاناً فقال أبو يزيد: مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لايموت .

وكلام أبي يزيد هذا يرمي إلى أمور خطيرة جدا منها أن أبا يزيد بكلامه هذا قلل من شأن الإسناد الذي يعتبر مفخرة عظيمة للأمة الإسلامية دون غيرها بجانب أنه قلل من شأن علماء السنة المشرفة الذين نقلوا إلينا السنة كما قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستهزاء والاستهتار بعلماء الأمة الإسلامية لا يكون إلا من إنسان في قلبه مرض وكراهية للإسلام والمسلمين ثم إن وصف أبي يزيد للعلوم الإسلامية وعلى رأسها السنة النبوية بأنها نقلت ميتاً عن ميت فيه استهزاء بمن شهد لهم القرآن بالجنة وأخبرنا الله بأنه رضي عنهم وهم الصحابة الكرام وهذا يعتبر جريمة.

ثم إن ادعاء أبي يزيد بأنه أخذ علمه هو وجماعته الصوفية الكذابون عن الله محض افتراء على الله عز وجل فنحن المسلمون نعتقد أنه لا نبي ولا رسول بعد النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله عز وجل يقول مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِّ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا.

وبما أن الله عز وجل أخبرنا بأنه لا يكلم البشر إلا بالوحي أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء وأبو يزيد البسطامي وأمثاله من المتصوفة الذين يدعون أنهم يتلقون علومهم من الله ليسوا أنبياء ولا رسل فدعواهم التلقي المباشر عن الله تصبح دعوى لا أساس لها من الصحة بل هي كذب وافتراء على الله عز وجل ومع ذلك فنحن لا ننكر أن القوم ربما يوحى إليهم من قبل الشياطين لأن الله عز وجل قد أثبت في كتابه الكريم أن الشياطين يوحون إلى أوليائهم حيث قال تعالى (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) وقوله تعالى(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ).

لذا فنحن لا نصدق المتصوفة أنهم يتلقون علوماً عن الله مباشرة لأن النبوة قد ختمت ولكن نقول لهم إنه من الممكن أن ينزل إليكم الوحي من قبل الشياطين وإلا فليس عندنا في الإسلام دينان دين يتلقاه أبو يزيد وأمثاله من دجالي الصوفية عن الله ودين أتى به الرسول الله صلى الله عليه وسلم لا غير.

وممن حمل على أئمة الإسلام وعلمائهم ابن عربي حيث شبههم بأوصاف قبيحة للتقليل من شأنهم فمرة شبههم بفراعنة الرسل ومرة وصفهم بأنهم فاقدو الإدراك ومرة وصفهم بعدم الإنصاف وإليك نصوصاً من كتبه:

فقد قال:وما خلق الله أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته العارفين به من طريق الوهب الإلهي الذي منحهم أسراره في خلقه وفهمهم معاني كتابه وإشارات خطابه فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل

.

وقال أيضاً: ولو كان علماء الرسوم ينصفون لاعتبروا بما في نفوسهم إذا نظروا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمون بها فيما بينهم فيرون أنهم يتفاضلون في ذلك ويعلو بعضهم في كلام على معنى تلك الآية ويقر القاصر بفضل غير القاصر وكلهم في مجرى واحد ومع هذا الفضل .

المشهود لهم فيما بينهم في ذلك ينكرون على أهل الله إذا جاءوا بشيء مما يغمض عن إدراكه وذلك لأنهم يعتقدون فيهم أنهم ليسوا بعلماء وأن العلم لا يتم إلا بالتعلم المعتاد في العرف وصدقوا فإن أصحابنا ما حصل لهم العلم إلا بالتعلم وهو الإعلام الرباني .

وقال أيضاً: فلما رأى أهل الله أن الله قد جعل الدولة في الحياة الدنيا لأهل الظاهر من علماء الرسوم وأعطاهم التحكم في الخلق بما يفتون به وألحقهم بالذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وهم في أفكارهم عن أهل الله يحسبون أنهم يحسنون صنعاً سلم أهل الله لهم أحوالهم لأنهم علموا من أين تكلموا وصانوا عنهم أنفسهم لتسميتهم الحقائق إشارات فإن علماء الرسوم لا ينكرون الإشارات .

اعتقادهم أن هناك حقيقة تخالف الشريعة

من أهم العوامل التي أدت إلى انحراف المتصوفة هو تفريقهم بين الحقيقة والشريعة وادعاؤهم أن الحقيقة غير الشريعة ومصطلح الشريعة والحقيقة مصطلح خاص بهم وكل من قرأ في كتب المتصوفة يجد أن المتصوفة يكررون هذا المصطلح بكثرة وهو في الحقيقة لا يبعد كثيراً عن مصطلح الظاهر والباطن الذي وضعه الباطنية

كمصطلح خاص بهم إلا أن الصوفية قد شاركوا الباطنية في مصطلح الظاهر والباطن أيضاً وكلا المصطلحين وضعهما الصوفية والباطنية ليهدموا بهما الشريعة الإسلامية ويقضوا عليها.

ويعني المتصوفة بهذين المصطلحين أن هناك في الإسلام علمين علم يخص أهل الظاهر وهو الشرعية الإسلامية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم بكل ما فيها من عقائد وعبادات وآداب وأخلاق وسلوك وهذا علم يرتفع عنه المتصوفة ويرون الوقوف عند هذا العلم انحطاطاً وأن الإنسان الذي تعلم العلم الشرعي الكتاب والسنة يعتبر المنافقين نظر المتصوفة في درجة العوام الذين لا يعتد بفتواهم والعلم الثاني العلم الذي يطلق عليه المتصوفة علم الحقيقة وهو الذي يعبرون عنه بالعلم اللدني ويعتقد المتصوفة أن هذا هو العلم النافع

وهو الذي من عرفه يستحق أن يسمى عالماً في زعمهم أما الكيفية التي ينال بها هذا العلم اللدني حسب زعمهم فهي المجاهدة التي إذا استمر عليها الإنسان ينزل عليه علم الحقيقة من الله ويقولون عنه أنه سر من أسرار الله لا ينزله إلا على قلوب الخاصة ويعنون بهذا أنفسهم لأنهم يقولون لا ينزل هذا العلم إلا على أولياء الله وقد حصروا الولاية في أنفسهم.

ومن هنا بعد القوم عن الشريعة الإسلامية الغراء التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله وفيها هدى ونور أصبحوا يبحثون عن الهداية والوصول إلى مرضاة الله عن طريق علمهم المزعوم الذي وصفوه بأنه بحتاً بعيداً كل البعد عن المعاني التي تدل عليها نصوص القرآن والحديث على حسب الأساليب المعروفة في اللغة العربية وكل من اعترض على تفسيرهم الباطل سدوا عليه الباب بأن هذا علم الحقيقة أو علم الباطن وأن هذا العلم لا يدركه إلا أهل الحقيقة

ويعنون أنفسهم لذا لا ينبغي لأهل الرسوم أن يعترضوا عليهم لأنهم يجهلون هذا العلم ولقد صرح المتصوفة بأن هناك علماً يسمى علم الحقيقة يختلف تماماً عن علم الشريعة الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وإليك النصوص من كتبهم أنفسهم.

قال المنوفي في كتابه جمهرة الأولياء:

إن القوم يرجعون بسند طريقهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث أن جبريل عليه السلام نزل بالشريعة أولاً فلما تقررت ظواهر الشريعة واستقرت نزل إليه بالحقيقة المقصودة والحكمة المرجوة من أعمال الشريعة فخص الرسول صلى الله عليه وسلم بباطن الشريعة بعض أصحابه دون البعض ثم قال في نفس الصفحة: وأول من أظهر علم القوم وتكلم فيه سيدنا علي وذكر السلسلة الصوفية في تلقي العلوم اللدنية إلى أن وصل إلى الجنيد الذي قال عنه أنه صحب الشافعي في علوم الظاهر ثم صحب وأخذ عن خاله السريسقطي علوم الباطن وعن الجنيد أخذ المحاسبي

ثم انتشر هذا الطريق انتشاراً لا ينقطع حتى ينقطع عمر الدنيا وقد ذكر ابن عجيبة في الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية شرح الحديث المكذوب على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو: (إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله) ثم ذكر في نفس الكتاب شرح هذا الحديث المكذوب فقال:قال بعضهم في شرح هذا الحديث هي أسرار الله يبديها الله إلى أمناء أوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهي من الأسرار التي لم يطلع عليها إلا الخواص فإذا سمعها العوام أنكروها ومن جهل شيئاً عاداه وينبغي أن نتذكر جيدًا أن المتصوفة يقصدون بكلمة العوام علماء الأمة الإسلامية من محدثين ومفسرين وفقهاء.

ومن النصوص المتقدمة نخرج بالنتائج الآتية:

أولا: أثبتنا أن المتصوفة يقولون أن هناك حقيقة تختلف عن الشريعة ومع هذا فإننا نلاحظ أيضاً أن البعض منهم قالوا إنها نزلت على الرسول بعد استكمال الشرعية.

والبعض الآخر قال: إنها أسرار الله يبديها لأوليائه.

وكلا القولين تترتب عليهما أموراً خطيرة.

فالقول بأن الرسول خص بعلم الحقيقة جزءا أو بعضا من أصحابه دون البعض فيه اتهام للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه كتم العلم وهذا يعتبر جناية كبرى وكفراً بواحاً فإن من العقيدة التي يجب أن يعتقدها المسلم تجاه الأنبياء التبليغ الكامل بكل الأشياء التي أمرهم الله بتبليغها وقد أمر الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم

أن يبلغ كل ما أنزل الله إليه وبالفعل قام الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ الأمانة كاملة فلم يكتم منها شيئاً بل بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين فكون المنوفي يقول أن الرسول خص بعض أصحابه ببعض العلوم كذب صراح ودعوى عارية عن الدليل لأنه لا يستطيع أن يأتي بدليل واحد من كتاب الله أو سنة رسول الله يؤيد قوله إذا الرجل ارتكب جرائم عديدة بإيراده هذا الكلام.

فأولا: الرجل وقع في جريمة الكذب وهي تعتبر من الجرائم الكبيرة عند عوام المسلمين فكيف بمن نصب نفسه للتأليف.

ثانيا: يعتبر تصريح المنوفي بأن الرسول خص بعض أصحابه بعلم دون البعض اتهام للرسول بكتمان ما أنزل الله مع أن الله أمره بتبليغ ما أنزل إليه ونحن نعتقد اعتقاداً جازماً بأن الرسول بلغ ما أنزل إليه من ربه ومن هنا نستطيع أن نقول بأن دعاء المنوفي بأن جبريل نزل بالشريعة أولاً ثم بالحقيقة وأن الرسول خص بها بعض أصحابه دعوى كاذبة خالية عن الدليل والبرهان.

بل إن علياً رضي الله عنه نفى تخصيص الرسول لهم بعلم خاص فقد روى الإمام البخاري في صحيحه أن أبا جحيفة قال: قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ فقال: لا إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة قلت: وما في هذه الصحيفة ؟ قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مؤمن بكافر .

ففي هذا الأثر ينفي علي رضي الله عنه أن يكون خص رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بيته بشيء وكتمه عن غيرهم وأنه ليس عندهم علم مكتوب أو غير مكتوب إلا كتاب الله أو فهم أي علم وهو أثر الفهم والاجتهاد وفي الصحيفة فليس عندهم إلا ما عند الناس والله سبحانه يختص بقوة الفهم من يشاء وهذا الأثر يعتبر أقوى دليل على بطلان مزاعم الصوفية الذين ادعوا أن الرسول خص علياً وأهل بيته وبعضاً من الصحابة بعمل خاص لأن علياً رضي الله عنه

قد نفى هذا الزعم الصوفي والحمد لله فالقوم ليس لهم أي دليل يستندون عليه لإثبات هذه الدعوى وما دام ليس لهم أي مستند فدعواهم بأن هناك حقيقة تختلف عن الشريعة دعوى باطلة لأنه لا يمكن الإنسان أن يدعي دعوة لا أساس لها فيحاول فرضها على الناس عن طريق الكذب والدجل.

أما الحديث الذي أورده المتصوفة لإثبات بأن هناك علوماً مخزونة عند الله وأن هذه العلوم هي عبارة عن أسرار الله لا يبديها الله إلا لأوليائه.

أولا: الحديث مكذوب على الرسول صلى الله عليه وسلم اخترعه المتصوفة لإثبات دعواهم بأن الأولياء تنزل عليهم علوم من الله غير العلوم التي نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم ونحن نقول للمتصوفة إن الدعاوى لا يمكن أن تثبت عن طريق الكذب وإنما تثبت الدعاوى عن طريق الأدلة القوية الصحيحة أما اختراع الأحاديث ونسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا غير جائز شرعاً كيف وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) .

وادعاء تلقي العلوم عن الله سبحانه وتعالى يلزم منه أن النبوة لم تختم لأن التلقي للعلوم عن الله لا يكون إلا عن طريق الوحي ويلزم منه أيضاً القول بأن هناك طريقاً آخر غير الطريق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم يغني عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا فيه مخالفة صريحة للنصوص فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه أن النبوة قد ختمت فقال تعالى (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً).

وفي الحديث فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا نبي بعدي) .

وعلى هذا فالنبوة قد ختمت وبختم النبوة انقطع الوحي فدعوى الصوفية بأن هناك علماً يلقيه الله على قلوبهم ويطلبون الهداية عن طريقه وأنه من الممكن أن يستغنوا به عن علم الشريعة فيه خطورة عظيمة عليهم

فليرجعوا عنه وإلا يعتبرون منكرين شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة فكل المسلمين مجمعون على أن النبوة قد ختمت وأن الوحي قد انقطع وأنه لا توجد علوم يمكن أن تزكي النفس وتطهرها إلا علم الكتاب والسنة اللذين جاء بهما الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله.

تأثرهم بالفكر اليوناني الوثني

من أهم العوامل التي أدت إلى انحراف الصوفية تأثرهم بالفكر اليوناني الوثني ومما يدل على تأثر المتصوفة بأفكار الفلاسفة اليونانيين كأفلاطون وأرسطوطاليس ثناء كبار المتصوفة على هؤلاء الفلاسفة وتمجيدهم ووصفهم بالطهر والثناء على طريقتهم بوصفهم لها بأنها من أحسن الطرق التي ينبغي اتباعها لتطهير النفوس وصفائها.

وإلى جانب ذلك فقد أثبت المفكرون الإسلاميون الذين كتبوا عن التصوف تأثر المتصوفة بالفكر اليوناني في قضايا اعتقادية وسلوكية كثيرة وبما أنه يصعب حصر هذه الأشياء التي أخذها المتصوفة عن اليونانيين سنكتفي بذكر نماذج فقط لأن المقصود هو الإثبات أن من أهم العوامل التي أدت إلى انحرافهم هو تأثرهم بالفكر اليوناني وليس المقصود حصر الأمور التي يلتقي فيها المتصوفة مع فلاسفة اليونان فهذا يحتاج إلى رسالة مستقلة وإليك بيان هذا فيما يلي:

أولا: أقوال كبار أئمة التصوف التي تدل على تأثرهم بفلاسفة اليونان وإعجابهم بهم:

فمن المتصوفة الذين ذكروا إعجابهم بفلاسفة اليونان عبد الكريم الجيلي فقد قال في كتابه الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر في الجزء الثاني منه كلاماً يدل دلالة صريحة وواضحة على حبه العميق لموجدي الفلسفة اليونانية

وإعجابه بهم وإليك نص كلامه الذي يدل على ما قلناه: فقد قال: ولقد اجتمعت بأفلاطون الذي يعده أهل الظاهر كافراً فرأيته وقد ملأ العالم الغيبي نوراً وبهجة ورأيت له مكانة لم أرها إلا لآحاد من الأولياء فقلت له: من أنت؟ قال قطب الزمان وواحد الأوان ولكم رأينا من عجائب وغرائب مثل هذا ليس من شرطها أن تغشى وقد رمزنا لك في هذا الباب أسراراً كثيرة ما كان يسعنا أن نتكلم فيها بغير هذا اللسان فالق القشرة من الخطاب وخذ اللب إن كنت من أولي الألباب) وقد ذكر في مكان آخر من كتابه أن أرسطو تلميذ أفلاطون لزم خدمة الخضر واستفاد منه علوماً جمة وكان من تلامذته .

فادعاء عبد الكريم الجيلي أن أفلاطون ألتقى بالخضر كذب محض وليس بصحيح لأن أفلاطون رجل وثني كافر والخضر نبي من أنبياء الله على القول الراجح ولأن الخضر قد مات أيضاً على القول الراجح.

وهل عبد الكريم الجيلي يدعي مثل هذا الادعاء لكي يبرر الأخذ من الوثنيين اليونانيين وينشر عقائدهم في أوساط المسلمين لو لم يكن معجباً بهم، ومن المتصوفة الذين مدحوا الفلاسفة اليونانيين لسان الدين الخطيب فقد نقل عن أرسطو أنه قال: (إني ربما خلوت بنفسي كثيراً وجعلت بدني جانباً وصرت كأني مجرد بلا بدن عري من الملابس الطبيعية فأكون داخلاً في ذاتي خارجاً من سائر الأشياء فأرى في ذاتي من الحسن السناء والبهاء والضياء والمحاسن العجيبة والمناظر الأنيقة ما أبقى له متعجباً متحيراً باهتاً فاعلم أني جزء من أجزاء العالم الأعلى الشريف فلما أيقنت بذلك رقيت بذهني إلى العلة الإلهية المحيطة بالكل فصرت كأني موضوع متعلق بها فأكون فوق العالم كله رآني كأني واقف في ذلك الموقف الشريف المقدس الإلهي فأرى هنالك من النور والبهاء والبهجة والسناء ما لا تقدر الألسن على صفته والأسماع على نعته ولا الأوهام أن تحيط به فإذا استغرقني ذلك النور والبهاء لم أطق احتماله ولا الصبر عليه

فارتددت عاجزاً عن النظر إليه وهبطت من العقل إلى الفكر والروية فإذا صرت في عالم الفكر والروية حجبت الفكرة عن ذلك النور والبهاء وحالت بيني وبينه الأوهام فأبقى متعجباً كيف انحدرت من ذلك الموضوع الشاهق العالي الإلهي وصرت سفلاً في موضع الفكر والضيق بعد أن قويت نفسي على التخلف عن بدنها والرجوع إلى ذاتها والترقي إلى العالم العقلي ثم العالم الإلهي مع العقول فوق العوالم كلها حتى صرت في موضع البهاء والنور والسناء متجلي الذي هو علة كل نور وبهاء وسبب كل دوام وبقاء ومن العجيب أني كنت قد رأيت نفسي ممتلئة نوراً وهي في البدن كهيئتها والبدن ومعها وهي خارجة عنه على أني لما أطلت الفكر ومحضت الروية وأجلت الرأي وصرت كالمتحير المبهوت تذكرت الفلطنوس فإنه أمر بالطب والبحث عن جوهر النفس الشريفة والحرص على الصعود إلى ذلك العالم الأعلى ولحق بالجواهر الإلهية والأسباب الكلية يجزي أحسن الجزاء اضطراراً فلا ينبغي لأحد أن يفتر عن الطلب والحرص

والجد في الاتقاء إلى ذلك العالم وإن تعب وكد ونصب فإن أمامه الراحة التي لا تعب بعدها في مخلوقة للإنسان كلها والإنسان مخلوق لها أليس عزاً أن تمر ساعة من عمره في غير ما خلق من ذلك أليس من فرط في السعي لذلك ظالم لنفسه ومهلكاً ذاته وفاعلاً بجوهرته النفسية ما لم يفعل به أعدى عدو له فيندم حين لا ينفعه الندم.

ثم علق لسان الدين الخطيب على كلام أرسطو هذا بما يلي:

فقال:(وبيان هذه السعادة من تعرض له فقد تعاطى ما لا تستقل به نفس ولا تطمع فيه قوة إنسانية وسبيل السعادة عندهم الرياضة وعلاج الأخلاق حتى يصير شبيها بالخير المحض وهو المبدأ تلطيف السر وأن يصرف عن النفس شواغل الجسم ويترقى في معارج المحبة والشوق إلى ذلك الكمال بالفكرة حتى تحس النفس بانجذابها إلى عالمها وتفيض عليها عجائبه وقد أخبر هؤلاء الإلهيون عن أنفسهم بما ذكرنا آنفاً من أنهم نزعوا لذاته أموراً مذهلة ثم عادوا إلى عالم الحس ورمزوا ذلك في كتبهم حسبما نقل سقراط الدنان ومعلم الخير أفلاطون وإمام المشائين أرسطو) .

إذا نظرنا في كلام لسان الدين الخطيب نرى أنه قد صرح بإعجابه بهذه الطريقة التي يسلكها فلاسفة اليونان لتربية النفس ومما يدل على هذا وصفه للفيلسوف اليونان لتربية النفس ومما يدل على هذا وصفه للفيلسوف اليوناني الوثني أفلاطون بأنه معلم الخير ووصفه لأرسطو بالإمام ومن هنا نفعهم بأن أقطاب التصوف كانوا معجبين بآراء فلاسفة اليونان وقد تأثروا بالفعل تأثراً كبيراً.

ومن المتصوفة الذين أكدوا تأثر بعض الصوفية بالأفكار اليونانية المنوفي الصوفي المعاصر المصري فقد قال:(أما وحدة الوجود الحلولية التي تجعل من الله شيئاً كائناً يحل في مخلوقاته أو الاتحاد بالمعنى المفهوم خطأ.

تلك تجعل من الكائن الفاني شخصية تتحد بالوجود الدائم الباقي المنزه عن سائر النسب والإضافات والأحياز الزمانية والمكانية المحدثة أو يتحد به شيء منها فإنها مذهب هندي أو مسيحي وليس بإسلامي

ولا يعرفه الإسلام استمده أهل الشذوذ في التصوف الإسلامي من الفلسفة البائدة وغذوا به ذهنهم الشاذ بفكر أفلاطونى وأراء بوذية وفارسية عن طريق الفارابي وابن سينا والمتتبع لحياة الحلاج ومؤلفات السهروردي وابن عربي يرى أنهم تأثروا بالمتفلسفة المسلمين الذين أخذوا عن الفلسفة الأفلاطونية القديمة والأفلاطونية الحديثة والأرسطوطالسية)   .

إذا نظرنا في كلام المنوفي نرى أنه صرح بأن المتصوفة تأثروا فعلاً بفلاسفة اليونان وأتوا بتلك العقائد الإلحادية التي توجد في التصوف من أولئك الفلاسفة اليونانيين ومع المنوفي صوفي إلا أنه لم يستطع أن ينكر تأثر المتصوفة بفلاسفة اليونان وهذا في الحقيقة دليل قاطع ومخرس لكل من ينكر تأثر المتصوفة بأفكار فلاسفة اليونان الوثنيين.

موقف المتصوفة من القرآن الكريم:

أما موقف المتصوفة من القرآن الكريم فقد فسروا القرآن الكريم تفسيرا باطنيا يختلف تماماً مع التفسير الذي فسره به السلف وعلماء الأمة الإسلامية عبر التاريخ وبعيداً كل البعد عن المعاني التي تدل عليها الألفاظ عند العرب وذلك من أجل إخضاع الآيات القرآنية لعقائدهم الفاسدة وإليك نماذج من تفسيرهم الباطني حتى تعرف أن المتصوفة من ألد الأعداء لكتاب الله عز وجل.

يقول محيي الدين بن عربي في تفسير قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ قال: إيجاز البيان فيه:

يا محمد إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أي ستروا محبتهم في عنهم فسواء عليهم أأنذرتهم بوعيدك الذي أرسلتك به أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بكلامك فإنهم لا يعقلون غيري وأنت تنذرهم بخلقي وهم ما عقلوه ولا شاهدوه ثم قال:

وكيف يؤمنون بك يا محمد وقد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعاً لغيري وَعَلَى سَمْعِهِمْ فلا يسمعون كلاماً في العالم إلا مني وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌمن بهائي عند مشاهدتي فلا يبصرون سواي ثم قال مرة أخرى في تفسير نفس الآيات حين أراد أن يوضح تفسيره جيداً فقال: انظر كيف أخفى سبحانه أولياءه في صفة أعدائه وذلك أنه لما ابتدع الأمناء من اسمه اللطيف وتجلى لهم من اسمه الجميل فأحبوه تعالى والغيرة من صفات المحبة في المحبوب والمحب بوجهين مختلفين فستروا محبته تعالى غيرة منهم عليه كالشبلي وأمثاله وسترهم الحق بهذه الغيرة عن أن يعرفوا فقال: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أي ستروا ما بدا له في مشاهدتهم من أسرار الوصلة فقال: لا بد من أن أحجبكم عن ذاتي بصفاتي فهو كذلك.

خَتَمَ اللهُّ عَلَى قُلُوبهِمْ من سناه إذ هو النور وبهائه إذ له الجلال والهيبة فأبقاهم الحق غرقى في بحور اللذات بمشاهدة الذات فقال لهم: لا بد لكم من عَذَابٌ عظِيمٌ فما فهموا ما العذاب لاتحاد الصفة عندهم فأوجد لهم الحق علم الكون والفساد وعلمهم جميع الأسماء وأنزلهم على عرش الرحمن وفق عذابهم وقد كانوا مخبوئين عنده في خزائن غيوبه فلما أبصرتهم الملائكة خرت سجوداً لهم فعلموهم الأسماء فأما أبو يزيد فلم يستطع الاستواء ولا أطاق العذاب فصعق من حينه فقال تعالى: ردوا عليّ حبيبي فإنه لا صبر له عني.

فحجب بالشوق والمخاطبة وبقي للكفار فنزلوا من العرش إلى الكرسي فنبتت لهم المقدمان فنزلوا عليهما من الثلث الباقي من ليلة هذه النشأة الجسمية إلى السماء الدنيا والنفس فخاطبوا أهل الثقل الذين لا يقدرون على الوجد هل من داع فيستجاب له هل من تائب فيتاب عليه هل من مستغفر فيغفر له .

ويقول في تفسير قوله تعالى اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ قال: فشبه نوره بالمصباح فلم يكن أقرب إليه تعالى قبولاً في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم المسماة بالعقل فكان سيد العالم بأسره وأول ظاهر في الوجود فكان وجوده من ذلك النور الإلهي ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية وفي الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب وأسرار الأنبياء .

ومن هنا يتضح لنا بأن المتصوفة حاولوا أن يخضعوا معاني القرآن لتوافق معتقدهم الفاسد وذلك عن طريق التأويلات الباطلة.

أما السنة فإنهم بعيدون عنها كل البعد فهم دائماً تراهم يحبون البدع وينشئونها ويشجعون عليها ويروون لتأييدها أحاديث وينسبونها إلى الرسول كذباً وزوراً فهم قوم هلكى غرقى في البدع والخرافات بل هم وكر البدع والخرافات وناشروها في الأمة الإسلامية.

التفسير الإشاري

عرف التفسير الصوفي بالتفسير الإشاري، ويتمثل على زعمهم في أن يرى المفسر معنى آخر غير المعنى الظاهر، ربما تحتمله الآية الكريمة ولكنه لا يظهر للعامة من الناس، وإنما يظهر لخاصتهم ومن فتح الله قلبه وأنار بصيرته وسلكه ضمن عباده الصالحين، الذين منحهم الله الفهم والإدراك، وهذا النوع من العلم ليس من العلم الكسبى الذي ينال بالبحث والمذاكرة وإنما هو من العلم الوهبى الذي هو أثر التقى والاستقامة والصلاح، كما قال تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ويعتمد أساساً على أن للقرآن ظاهراً وباطناً، ويقصد بالظاهر الشريعة وبالباطن الحقيقة، وعلم الشريعة علم المجاهدة، وعلم الحقيقة علم الهداية، وعلم الشريعة علم الآداب وعلم الحقيقة علم الأحوال، وعلم الشريعة يعلمه علماء الشريعة وعلم الحقيقة يعلمه العلماء بالله، يقول السلمى في مقدمة تفسيره عن الباعث لإقدامه على كتابة تفسير القرآن

: لما رأيت المتوسمين بعلوم الظاهر قد سبقوا في أنواع فرائد القرآن، من قراءات وتفاسير ومشكلات وأحكام وإعراب ولغة ومجمل ومفصل وناسخ ومنسوخ، ولم يشتغل أحد منهم بفهم الخطاب على لسان أهل الحقيقة إلا آيات متفرقة، أحببت أن أجمع حروفاً أستحسنها من ذلك وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إليه وأرتبه على السور حسب وسعى وطاقتى ويقول سهل بن عبد الله التسترى في تفسيره، وهو أول ما ظهر للصوفية من تفسير للقرآن: ما من آية في القرآن إلا ولها أربعة معان، ظاهر وباطن وحد ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم والحد حلالها وحرامها والمطلع إشراف القلب على المراد بها فقهاً من الله عز وجل، فالعلم الظاهر علم عام، والفهم لباطنه والمراد به خاص .

وقد ظهر أيضا تفسير ثالث لعبد الكريم القشيرى سلك فيه مسلك الصوفية في إدراك الإشارات التي يراها الصوفي خلف آيات القرآن، وسماه لطائف الإشارات، قال عن الباعث لتأليفه: وكتابنا هذا يأتى على طرف من إشارات القرآن على لسان أهل المعرفة إما من معاني قولهم أو قضايا أصولهم، سلكنا فيه طريق الإقلال خشية الملل مستمدين العون من الله تعالى ، متبرئين من الحول والمنة مستعصمين من الخطأ والخلل، مستوثقين لأصوب القول والعمل .

ولم يظهر في تاريخ التفسير الإشاري حتى القرن الخامس، أهم من حقائق التفسير للسلمى، ولطائف الإشارات للقشيري وإن كان القشيري قد استفاد من السلمى فائدة كبرى واقتبس منه كثيراً من آرائه .

وقد ظهر تفسير القرآن المنسوب لابن عربي، لكنه في الحقيقة للكاشاني السمرقندي، ويعد هذا التفسير أهم تفسير إشارى بعد اللطائف، قال مؤلفه في مقدمته: ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حد ومطلع، فالظهر هو التفسير، والبطن هو التأويل، والحد هو ما تتناهي إليه الفهوم من معنى الكلام، والمطلع ما يصعد إليه منه فيطلع على شهود الملك العلام .

موقف العلماء من تقسيم المتصوفة الدين إلى شريعة وحقيقة.

رفض علماء الأمة الإسلامية تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة واستنكروها وإليك نماذج من أقوالهم حتى تعلم أن المتصوفة ما أتوا بهذا التقسيم إلا لتأييد مذهبهم الباطل حتى لا يحتج عليهم الناس بالنصوص فيبطلون ما هم عليه من الأعمال المخالفة للنهج الإسلامي.

فقد قال الإمام ابن القيم مستنكراً قول المتصوفة بأن هناك علماً باطناً وظاهراً:

ومن كيد الشيطان ما ألقاه إلى جهال المتصوفة من الشطح والطامات وأبرز لهم في قالب الكشف من الخيالات فأوقعهم في أواع الأباطيل والترهات وفتح لهم أبواب الدعاوى الهائلات وأوحى إليهم أن وراء العلم طريقاً إن سلكوه أفضى بهم إلى الكشف العياني وأغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن فحسن لهم رياضة النفوس وتهذيبها وتصفية الأخلاق والتجافي عما عليه أهل الدنيا وأهل الرئاسة والفقهاء وأرباب العلوم والعمل على تفريغ القلب وخلوه من كل شيء حتى ينقش فيه الحق بلا واسطة تعلم فلما خلا من صورة العلم الذي جاء به الرسول نش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعد له من أنواع الأباطيل وخيله للنفس حتى جعله كالمشاهد كشفاً وعياناً فإذا أنكره عليهم ورثة الرسل قالوا لكم العلم الظاهر ولنا الكشف الباطن ولكم ظاهر الشريعة وعندنا باطن الحقيقة ولكم القشور ولنا اللباب فلما تمكن هذا من قلوبهم سلخها من الكتاب والسنة والآثار

كما ينسلخ الليل من النهار ثم أحالهم في سلوكهم على تلك الخيالات وأوهمهم أنها من الآيات البينات وأنها من قبل الله الهامات فلا تعرض على السنة والقرآن ولا تعامل إلا بالقبول والإذعان وكلما ازدادوا بعداً وإعراضاً عن القرآن وما جاء به الرسول كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم .

وقال ابن إسماعيل في معرض نقده للمتصوفة والتحذير منهم: فالله الله في الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الإثبات وإنما هم زنادقة جمعوا بين مديح العمال مرقعات وصوف وبين أعمال الخلعاء الملحدة أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاءوا بوضع أهل الخلاعة.

فأول ما وضعوا أسماء وقالوا حقيقة وشريعة وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله.

وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة وهذا من قائله لأن الشريعة كلها حقائق.

ثم قال: وقد أنكر جماعة من قدمائهم في إعراضهم عن ظواهر الشرع ومن هذه النصوص التي أوردتها عن الأئمة الكبار من علماء الأمة الإسلامية يتضح لنا أن ادعاء الصوفية تقسيم العلم إلى حقيقة وشريعة فقط فهي الحقيقة عندنا ولكن في الإسلام عندنا أعمال القلوب وأعمال الجوارح

وهذه كلها موجودة في الشريعة الإسلامية لذا نقول للمتصوفة لا يمكن أن تصلوا إلى الحقيقة خارج الشريعة فإن كنتم تبحثون عن الحقيقة بالفعل فارجعوا إلى الشريعة التي جاء بها محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم فهي الحقيقة لا غير.

<u>الانحرافات التي وقع فيها الصوفية بسبب هذه القاعدة:</u>

إن المتصوفة قد وقعوا في انحرافات عديدة بسبب هذه القاعدة التي وضعوها وهي القول بأن الحقيقة تختلف عن الشريعة ومن هذه الانحرافات التي وقعوا فيها ما يلي:

١ـ اتهام الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه خص أناساً بعلم خاص وهذا يترتب عليه اتهامه بكتمان ما أنزل إليه والواجب تجاه الرسل الاعتقاد بأنهم قد بلغوا ما أمرهم الله به.

٢ـ تعطيل وظيفة الأمر والنهي عن المنكر بحجة أنه نزل عليهم علوم تختلف عن علم الشريعة لذا لا ينبغي أن ينكر عليهم.

٣ـ ادعاء التلقي عن الله مباشرة وهذا يؤدي إلى القول بعدم ختم النبوة وهو انحراف عقدي خطير.

٤ـ الاستهزاء بعلماء الأمة الإسلامية والتقليل من شأنهم ووصفهم بأنهم عوام وبأنهم محجوبون بظواهر الشريعة عن علوم الحقيقة.

٥ـ تفسير القرآن الكريم بأهوائهم وتأويله بحيث يؤيد معتقدهم إلى جانب تحريفهم لمعاني السنة النبوية وتصحيح الأحاديث كثيرة كذباً وزوراً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لتأييد معتقدهم الفاسدة كما مر بنا بعضها في موضوع تفريق الصوفية بين الحقيقة والشريعة.

فكان بعضهم بعلن أنه اطلع على الغيب وأن في مقدوره الإتيان بخوارق العادات ثم يذهب إلى ما هو أبعد من هذا مثل قول الحلاج المشهور ما في الجبة غير الله وغيره أنا الحق وبمثل هذا وذاك ثار على الحلاج معاصروه ورموه بالسحر والجنون وعذب عذاباً أليماً إلى أن مات في أوائل القرن الرابع والله أعلم بحاله وكان من أمثال الحلاج من بالغوا مبالغة قلت أم كثرت كشهاب الدين عمر السهروردي المقتول ورئيس جماعة الإشراقيين ومحيي الدين بن عربي الأندلسي وابن سبعين السقلي وهم من رجال القرنين السادس والسابع وتابعهم جماعة من شعراء الفرس وأمثال جلال الدين الرومي وفريد الدين العطار وكلهم يرمي إلى أن يقيم التصوف الإسلامي على دعائم فلسفية أو فارسية وهندية أو يونانية .

ثانيا: الكتّاب الذين كتبوا عن التصوف وأثبتوا تأثرهم بالفكر اليوناني الوثني: لقد أثبت كثير من الكتاب الذين كتبوا في الفكر الصوفي تأثر المتصوفة إلى حد بعيد بفلاسفة الفكر اليوناني الوثني ومن هؤلاء الكتاب من كتبوا عن تاريخ التصوف مثل الدكتور عبدالرحمن بدوي حيث قال في معرض حديثه عن الأثر اليوناني في التصوف تحت عنوان أرثولوجية أرسطو طاليس وهو كما تعلم فصول ومقتطفات منتزعة من التاسوعات الأفلاطونية وفيه نظرية الفيض والواحد التي ستلعب دوراً خطيراً في التصوف الإسلامي خصوصاً عند السهروردي المقتول وابن عربي وفيه أيضاً نظرية الكلمة.

ثم قال عبدالرحمن بدوي: ولا شك في تأثر الصوفية المسلمين ابتداء من القرن الخامس الهجري بما في أرثولوجية من آراء وإنما الخلاف هنا هو في هل وصل تأثيره إلى التصوف الإسلامي مباشرة أو عن طريق كتب الإسماعيلية وكلها حافلة بالتأثر به ويتلوه في الأهمية الكتب المنسوبة إلى هرمس

وشخصيته بارزة التأثير عند السهروردي وابن عربي والأول خصوصاً في فكرة الطباع التام الذي تأثر بها كل الإشراقيين بعد السهروردي والطباع التام هو النور ويسمى أيضاً الروحانية والطبيعة الكريمة ومن النصوص المهمة المنسوبة إلى هرمس رسالة في معاذلة النفس فهي مناجيات للنفس وتحليل لها وتأنيب للنفس الأمارة ودعوة للنفس من أجل التطهر والتقدس ومن السهل أن نجد أصداء لها ومشابهات في مناجيات الصوفية المسلمين ثم إن هناك فصولاً منحولة لأفلاطون وسقراط وغيرهما من الفلاسفة اليونانيين معظمها آداب وأقوال وكلها تتشابه في بعض أرائها مع الأقوال المنسوبة إلى كبار الصوفية المسلمين في كتب طبقات الصوفية المختلفة كالقشيري والسلمي والشعراني والهروي والعطار والجامي وغيرهم.

ومن الكتاب الذين كتبوا عن التصوف وأقروا تأثره بالفكر اليوناني الوثني الدكتور أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني فقد قال متحدثاً عن تأثر المتصوفة بالأفكار اليونانية:

ونحن لا ننكر الأثر اليوناني على التصوف الإسلامي فقد وصلت الفلسفة اليونانية عامة والأفلاطونية المحدثة خاصة إلى صوفية الإسلام عن طريق الترجمة والنقل أو الاختلاط مع رهبان النصارى في الرها وحران وقد خضع المسلمون لسلطان أرسطو وإن كانوا قد عرفوا فلسفته على أنها فلسفة إشراقية لأن عبد المسيح بن ناعمة الحمصي حينما ترجم كتاب أرثولوجية أرسطوطاليس قدمه إلى المسلمين على أنه لأرسطو فى حين أنه مقتطفات من تاسوعات أفلاطون وليس من شك في أن فلسفة أفلوطين السكندري التي تعتبر أن المعرفة مدركة بالمشاهدة في حال الغيبة عن النفس وعن العالم المحسوس كان لها أثرها في التصوف الإسلامي فيما نجده من كلام متفلسفي الصوفية عن المعرفة وكذلك كان لنظريته في الفيض وترتب الموجودات عن الواحد والأول أثرها على الصوفية المتفلسفين من أصحاب الوحدة كالسهروردي ومحيي الدين بن عربي وابن الفارض وعبد الحق بن سبعين وعبد الكريم الجيلي ومن نحا نحوهم

ونلاحظ بعد ذلك أن أولئك المتفلسفة من الصوفية نتيجة اطلاعهم على الفلسفة اليونانية قد اصطنعوا كثيراً من مصطلحات هذه الفلسفة مثل الكلمة والعقل الأول والعقل الكلي والعلة والمعلول وغير ذلك من مصطلحات الفلسفة اليونانية .

ومن العلماء الكبار الذين أثبتوا تأثر المتصوفة بالفلاسفة في عقائدهم الضالة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقد تكلم عن سبب وقوع المتصوفة في القول بوحدة الوجود وأثبت أن سبب ذلك هو سلوكهم مسلك الفلاسفة وبعدهم عن الكتاب والسنة فقال: ولهذا لما سلك ابن عربي وابن سبعين وغيرهما هذه الطرق الفاسدة أورثهم ذلك الفناء المذموم عن الوجود السوي فجعلوا الموجود واحدا ووجود كل مخلوق هو عين وجود الحق وحقيقة الفناء عندهم أن لا يرى إلا الحق وهو الرائي والمرئي والعابد والمعبود والذاكر والمذكور والآمر خالقه والآمر المخلوق

وهو المتصف بكل ما يوصف به الوجود من مدح وذم وعباد الأصنام ما عبدوا غيره وما ثم موجود مغاير له البته عندهم وهذا منتهي سلوك هؤلاء الملحدين فحقيقة قولهم قول فرعون لأن فرعون كان في الباطن عالماً بأن ما يقوله باطل وكان جاحداً مريداً للعدو والفساد لهذا جحد وجود الصانع كلية وأما هؤلاء فجهال ضلال يحسبون أن ما يقولونه هو حقيقة إثبات هذا العالم ولا ينكر أن الموجودات تشترك في مسمى الوجود وإنما ينكر أن لهذا الوجود خالقاً مبايناً له ولهذا أمر ببناء الصرح ليكذب موسى بزعمه أن للعالم إلهاً فوقه كما حكى الله لنا في كتابه فقال (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ) وأكثر هؤلاء الملاحدة القائلين بوحدة الوجود يقولون إن فرعون أكمل من موسى.

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهؤلاء ليسوا مسلمين ولا يهودا ولا نصارى بل كثير من المشركين أحسن حالاً منهم وهؤلاء أئمة نظار المتفلسفة وصوفيتهم وشيعتهم كان من أسباب تسلطهم وظهورهم هو بدع أهل البدع من الجهمية المعتزلة والرافضة ومن نحا نحوهم في بعض الأصول الفاسدة فإن هؤلاء اشتركوا هم وأولئك الملاحدة في أصول فاسدة يجعلونها قضايا عقلية صادقة وهي باطلة كاذبة مخالفة للشرع والعقل ومن الكتاب الذين كتبوا عن التصوف وأكدوا تأثر المتصوفة بالفكر اليوناني الوثني كون قاسم غني الفارسي فقد قال: وقد أثر في التصوف والعرفان ذيوع آراء أفلاطون وظهور الفلسفة الأفلاطونية الحديثة بين المسلمين أكثر من أي شيء وبعبارة أخرى أحرز التصوف الذي كان إلى ذلك الحين زهداً عملياً أساساً نظرياً وعلمياً وإذا دققنا في آراء الأفلاطونية الحديثة وجدنا أن الصوفي الزاهد الذي غض الطرف عن الدنيا وما فيها بحكم أنها فانية وتعلق خاطره بما هو خالد يشعر بلذة الرضى في فلسفة أفلوطين

بل يحصل على منتهي غايته في تلك الآراء وموضوع وحدة الوجود في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة جذب أنظار الصوفية أكثر من أي شيء آخر لأن الذين يؤمنون بهذه العقيدة يرون أن العالم كله مرآة لقدرة الحق تعالى وكل موجود بمثابة مرآة تتجلى ذات الله فيها إلا أن المرايا كلها ظاهرة والوجود المطلق والوجود الحقيقي هو الله وينبغي على الإنسان أن يسعى حتى يمزق الحجب ويجعل نفسه محلاً لتجلي جمال الحق الكامل ويبلغ السعادة الأبدية وعلى السالك أن يطير بجناح العشق نحو الله تعالى ويحرر نفسه من قيد ودود الذي ليس إلا مظهر فحسب وينمحي ويفنى في ذات الله أي الموجود الحقيقي .

فهذه آراء بعض الكتاب الباحثين الذين كتبوا عن التصوف وكما هو واضح أمامنا فقد أثبتوا تأثر المتصوفة بالفكر اليوناني الوثني ومما ينبغي أن يعلم أن هؤلاء الكتاب الذين نقلت عنهم هذه الأقوال إما متصوفة بحت وإما من الموالين لهم والمدافعين عنهم إلا شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقد صرح كثير من الكتاب بتأثر المتصوفة بالفكر اليوناني الوثني ومنهم المستشرق نيكلسون فقد قال مقرراً تأثر المتصوفة بالفكر اليوناني: وقد كان لمصر والشام دائماً الصدارة بين الأمم التي انتشرت فيها الحضارة اليونانية وهما البلدان الذان ظهر فيهما التصوف لأول مرة بمعناه الدقيق والرجل الذي اضطلع بأكبر قسط في تطور هذا النوع من التصوف هو ذو النون المصري الذي وصف بأنه حيك كيمائي أو أنه بعبارة أخرى أحد أولئك الذين نهلوا من منهل الثقافة اليونانية فإذا أضفنا إلى هذا أن المعاني التي تكلم فيها ذو النون هي في جوهرها المعاني التي نجدها في كتابات يونانية مثل كتابات ديونيسيون وليس عندي من شك في أن المذهب الغنوصي بعدما أصابه من التغيير والتحوير على أيدي مفكري المسيحية واليهودية وبعد امتزاجه بالنظريات اليونانية كان من المصادر الهامة التي أخذ عنها رجال الصوفية والغنوصية مواضع اتفاق كثيرة هامة

ولا شك عندي أيضاً في أن دراسة هذه المسألة دراسة دقيقة وافية تأتي بأطيب الثمرات لكن يقيناً أننا إذا نظرنا إلى الظروف التاريخية التى أحاطت بنشأة التصوف استحال علينا أن نرد أصله إلى عامل هندي أو فارسي ولزم أن نعتبره وليداً لاتحاد الفكر اليوناني والديانات الشرقية أو بمعنى أدق وليد اتحاد الفلسفة الأفلاطونية الحديثة والديانة المسيحية والمذهب الغنوصي .

والخلاصة إن تأثر الصوفية بالفكر اليوناني الوثني كان من أهم العوامل التي أدت إلى انحراف الصوفية عن الطريق القويم في العقيدة والعبادة والسلوك لأنهم ابتغوا الهدى في غير الكتاب والسنة فوقعوا في متاهات وضلالات وخرافات وبدع عقدية وسلوكية وتعبدية.

الباب الثالث

البكتاشية والدولة العثمانية

☆☆☆

البكتاشية ومحمد على باشا

تُعتبر البكتاشية من أخطر الحركات الباطنية السرية الإيرانية التي لعبت دوراً أساسياً في تدمير السلطنة العثمانية السُّنِّيَّة، من خلال نشر العصيان وفساد الأخلاق بين قوات الجيش الإنكشاري، وبلغ الخطر البكتاشي أقصى مداه حينما حرّكت البكتاشية أدواتها الإنكشارية في إسطنبول والبلقان في نفس الوقت الذي تحركت فيه الجيوش الإيرانية الباطنية على الجبهة الشرقية، وجيوش محمد علي باشا على الجبهة الجنوبية، فهل كان محمد علي باشا باطنياً بكتاشياً معادياً لأهل السُّنَّة والجماعة؟.

أصول محمد على الغامضة

لاشكّ أن الغموض يحيط بشخصية محمد علي باشا،شأنه في ذلك شأن بقية الباطنيين، وقد هاجرت أسرته المجهولة النسب من قونيا في الأناضول إلى قَوَلَه، وأنيطت وظيفة المتسلم بعمِّه طوسون الذي أعدمته السلطنة العثمانية جرّاء جرائمه، فتأثر محمد علي، وعمل مراسلاً ثم دلالاً سمساراً في شركة ليون التجارية، وقام بتهريب الدخان وغيره من الممنوعات، وعندما بلغ الثامنة عشرة التحق بقوات الباشبوزوق ومارس الإرهاب بقسوة ضد الفلاحين لتحصيل الضرائب، فجمع ثروة من المال الحرام، ثم حضر إلى مصر كنائب لقائد وحدة من الباشبوزوق للمساهمة في تحرير مصر من الفرنسيين، ولكن عودة قائد مجموعة الباشبوزوق أتاحت لمحمد علي رئاستها،

فبدأ بزرع الفتن بين المصريين مُعتمدا على المترجمين غير المسلمين لجهله اللغة العربية، وبنى مجده على أنقاض ما هدمه من أمجاد المصريين، وصعد بقوة تفوق قدرة الفرد، وتدلَّ على أن وراء ذلك الصعود تنظيماً باطنياً يقدّم الدعم المادي والمعنوي لمحمد على باشا الذي مثَّل الوجه الظاهر لذلك التنظيم الباطني، فما هو التنظيم الذي عزّز قوة محمد علي الطارئ على مصر ذات التقاليد الحضارية العريقة؟

إن تتبُع الخيوط الدقيقة للبكتاشية والباطنية في مصر يقدِّم لنا معلومات تثير الشكَّ، وتفتح الأبواب أمام الباحثين عن الحقيقة رغم السِّرية الباطنية، والغموض الذي يحيط بالأسرة العلوية التي حكمت مصر بالحديد والنار والمؤامرات الدموية، وألحقت الأذي بالفلاحين والعسكريين المصريين والعلماء على حدٍّ سواء، ورعَتْ مصالح المُرابين غير المسلمين، واتخذت من مصر قاعدة لإلحاق الأذى بالمسلمين السُّنَّة في شبه الجزيرة العربية، وبلاد الشام والأناضول، وبذلك قدَّمت الأسرة العلوية خدماتٍ كبيرة للباطنيين الصفويين الإيرانيين، وقوى الاحتلال الأوروبي من خلال إضعافها للسلطنة العثمانية ومركز الخلافة الإسلامية السُّنِّيَّة في إسلامبول.

وعن العلاقة الغامضة بين البكتاشية والأسرة العلوية، يقول الدكتور محمد السيد الدغيم، الباحث بكلية الدراسات الشرقية بلندن، فى ورقة بحث بعنوان محمد على باشا من وجهة نظر عثمانية إن هناك عدة قرائن على علاقة الأسرة العلوية بالحركة الروحية البكتاشية منها أن الأكثرية الألبانية التى تنتمى إليها أسرة محمد على تعتنق المبادئ البكتاشية، إضافة إلى الاهتمام الملحوظ بعمران التكية البكتاشية بالمقطم، فخلال الفترة من عام ١٩٠٣ إلى عام ١٩٢٧ قام كل من الأمير كمال الدين حسين، نجل السلطان حسين كامل، والأمير لطفى، أحد شيوخ التكية بتجديد ضريح البابا عبدالله المغاورى الأرناؤوطى.

وقد دفن حسين كامل فى كهف البكتاشية المقدس، مما يؤكد وجود علاقة بين الأسرة والحركة، ومن قرائن اهتمام الأسرة العلوية بالبكتاشية صدور أوامر محمد سعيد باشا ١٨٥٤ ـ ١٨٦٣

، بتخصيص المغارة التى دفن فيها قبوغوسز الأرناؤوطى المشهور باسم عبدالله المغاورى للطريقة البكتاشية فى كهف السودان وتتابع دفن باباوات البكتاشية فى كهف السودان ومن أبرز القرائن انتقال التكية البكتاشية المركزية من ألبانيا إلى مصر برعاية الحكومة الملكية، وأيضاً وجود تابوتين فى مقبرة التكية البكتاشية لكل من الأميرة روحية والأميرة نافية ابنتى الملك الألبانى السابق أحمد زغو البكتاشى الذى تولى حكم ألبانيا عام ١٩٢٢، وأقام فى مصر فترة من الزمن.

<u>الجوامع المشتركة بين محمد علي والبكتاشية</u>

ان البكتاشية هي أخطر الحركات الهدامة التي ألحقت الأذي بالسلطنة العثمانية، وقد قدمت خدماتها للباطني تيمور لنك، وللصفويين الباطنيين، والصليبيين الأوروبيين والروس الأرثوذكس، والصهاينة ويهود الدونمة والبكتاشية في معاداة الخلافة الإسلامية العثمانية السُّنِّيَّة تنطبق على محمد علي باشا، وذلك في النقاط التالية:

١ ـ الغُموض يحيط بأصول بأسرة محمد علي باشا، شأنها في ذلك شأن غيرها من الباطنيين، فقد انتقلت أسرة إبراهيم أغا من مدينة قونيا في الأناضول إلى أدرنة، ثم عين إبراهيم أغا رئيس حرس قلعة قولة الواقعة في مقدونيا اليونانية، وتمّ تعيين أخيه طوسون مُتسلماً للبلدة، وصار علي بن طوسون بيلربيه، وجاء محمد علي إلى مصر كمعاون لحسن باشا البويانلي قائد مجموعة باشيبوزوق الأرناؤوط الذين قصدوا مصر بعد الحملة الفرنسية وآلت إليه قيادة الباشيبوزوق الرأس الخربان بعد عودة قائدها إلى بلده لأسباب مجهولة.

٢ ـ كان محمد علي باشا أمي، عاقل، ذكي وكان من طبعه الحقد والحسد والتطلع لما في أيدي الناس وقد تعامل بقسوة بالغة مع المسلمين السُّنَّة المصريين، ففرض عليهم الضرائب الباهظة حتى هجَّرهم من مصر إلى بلاد الشام وغيرها، وطلب استردادهم من عبد الله باشا، فرفض إعادتهم، واتخذ محمد علي باشا ذلك الرفض وسيلة للهجوم على بلاد الشام وهذه الأعمال لايقوم بها مسلم صالح.

٣ ـ جمع محمد علي حوله السفلة، واعتمد على غير المسلمين من الأقباط والأرمن واليهود، وتنكر لنقيب الأشراف لشيخ عمر مَكْرَم بن حسين السيوطي ١١٦٨؟ ـ١٢٣٧هـ / ١٧٥٥؟ ـ١٨٢٢م، ونفاه إلى دمياط سنة ١٢٢٢هـ، ثم نفاه إلى طنطا التي توفى فيها، وهذا دليل على حقده الباطني على علماء المسلمين الصالحين والوطنيين، وقد وصفه أمير المصريين القبالي ابراهيم بك الكبير فقال شارحاً سيرة محمد علي باشا في مصر: إننا سبرنا أحواله وخيانته، وشاهدنا ذلك في كثير مِمَّن خدموه، ونصحوا معه حتى ملَّكوه هذه المملكة.

قال إبراهيم بك: أوَّلُهُم مخدومه محمد باشا خسرو، ثم كتخداه وخازنداره عثمان أغا جنج الذي خامر معه، وملك مع أخيه المرحوم طاهر باشا القلعة، وأحرق سرايته، ثم سلَّط الأتراك على طاهر باشا حتى قتلوه في داره، وأظهر موالاتنا وصداقتنا ومساعدتنا، وصيَّر نفسَه من عسكرنا، واتَّحَدَ مع عثمان بك البرديسي، وأظهر له خُالصَ الصداقة والأخوّة، وعاهد بالأيْمَان حتى أغراه على علي باشا الطرابلسي،

وجرى ما جرى عليه من القتل، ونسَب ذلك إلينا، ثم اشتغل معه على خيانته لأخيه الألفي وأتباعه، ثم سلَّط علينا العساكر يطلب العلف للخيل، وأشار على عثمان بك بطلب المال من الرعية حتى وقع لنا ما وقع، وخرجنا من مصر على الصورة التي خرجنا عليها، ثم أحضر أحمد باشا خورشيد وولاه وزيرًا، وخرج هو لِمُحاربتنا، ثم اتَّضح أمرُه لأحمد باشا، وأراد الإيقاع به، فعجَّل العود إلى مصر، وأوقع بينه وبين جُنده حتى نفروا منه ونابذوه، وألقى إلى السيد عمر، والقاضي، والمشايخ: أن أحمد باشا يريد الفتكَ بهم، فهيَّجوا العامة والخاصَّة، وجرى ما جرى من الحروب وحرقِ الدور، وبذل السيد عمر جهدَه في النُّصح معه بما يُظهره له من الحُبِّ والصداقة، وراجت عليه أحواله حتى تمكَّن أمرُهُ، وبلغ مرادَه وأوقع به، وأخرجَه من مصر، وغرَّبه عن وطنه، ونقضَ العهودَ والمواثيق التي كانت بينه وبينه، كما فعل بعمر بك وغيره، وكلُّ ذلك معلومٌ، ومُشاهَدٌ لكم ولغيركم، فمَن يأمَن لهذا، ويعقد معه صلحًا؟.

كان البكتاشيون بمصر نحو عشرة آلاف، أو أقلّ، أو أكثر، ما بين مُقدّمي ألوف، وأمراء، وكشاف، وأكابر أوجاقات، ومماليك، وأجناد وطوائف، وخدم واتباع، مرفَّهي المعاش بأنواع الملاذّ، كلّ أمير مختصّ ومعتكف بإقطاعه، مع كثرة مصارفنا في الأوقات المعهودة، ولا نعرف عسكراً ولا علوفة عسكر، والقُرى والبلاد مطمئنة، والفلاحون ومشايخ البلاد مرتاحون في أوطانهم، ومضايفهم مفتوحة للواردين والضيوف مع ما كان يلزم علينا من المصارف الميرية، ومرتبات الفقراء، وخزينة السلطان، وصُرَّة الحرمين الشريفين، والحُجَّاج، وعوائد العربان، وكلف الوزراء المتولين، والأغوات، والقابجية المعينين، وخدمهم، والهدايا السلطانية، وغير ذلك، ومحمد على باشا لم يكفه إيرادُ الإقليم، وما أحدثه من الجمارك والمكوس، وما قرَّره على القرى والبلدان من فرض المال، والغِلال والجِمال والخيول، والتعدي على الملتزمين، ومقاسمتهم في فائضِهم ومعاشهم، وذلك خلاف مُصادرات الناس، والتجار في مصر وقراها،

والدعاوي والشكاوي، والتزايد في الجمارك، وما أحدثه من ضرب القروش النحاس، واستغراقها أموال الناس، بحيث صار إيرادُ كلِّ قلمٍ من أقلام المكوس بإيراد إقليمٍ من الأقاليم، ويبخل علي الناس بما تعيش به، وهذه الصفات تنطبق على عُتاة البكتاشية والباطنية حينما يمتلكون القوة التي تُمكنهم من البطش بالمسلمين السُّنة بشكلٍ خاص باعتبارهم من ألدّ أعدائهم، والشواهد على ذلك كثيرة قديماً وحديثاً.

٤ ـ أذكى محمد علي نيران الفتن بين المماليلك وغيرهم، وارتكب مذابح جماعية فى حق المسلمين المماليك وغيرهم دون رادعٍ من ضميرٍ أو دين، وأشهر مذابحهِ مذبحةُ القلعة سنة ١٢٢٦ هـ/ ١٨١١م تلك المذبحة التي لايقوم بها إلا مَن خرج من دين الإسلام والإنسانية في نفس الوقت.

٥ ـ هنالك شكوك حول التعاون في نشر الفجور والبدع بين البكتاشية المصرية ومحفل إيزيس الماسوني الذي أسسه في القاهرة ماسونيو الحملة الفرنسية سنة ١٢١٣ هـ/ ١٧٩٨م، ثم تحوَّل من السِّرية إلى العلنية بعد مصرع الجنرال كليبر على يد المجاهد الأزهري سليمان الحلبي سنة ١٢١٥ هـ/ ١٨٠٠م، ومن أبرز المشايخ الحداثيين الذين انضمُّوا إلى الماسونية الشيخ حسن العطار ١٢٥١ هـ/ ١٨٣٥م صديق محمد علي باشا الذي سمح بإنشاء المحفل الماسوني الإيطالي سنة ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠ على الطريقة الإسكوتلندية، وجراء تأثر محمد على بالبكتاشية والماسونية، سلّم القضايا المالية للمعلم غالي القبطي وأعوانه، وتعاطف مع اليهود في دمشق والنُّصيرية في جبل اللُّكام، والنصارى في لبنان من خلال تعاونه مع المُرتدّ عن الإسلام الأمير بشير الشهابي.

٦ ـ استغل محمد علي باشا فرصة سيطرة السعوديين على الحجاز، فتظاهر بطاعة السلطان محمود الثاني، وأرسل حملة بقيادة طوسون فحوصرت حملته في الطائف، فهزمه الأمير عبد الله بن سعود، فقاد محمد علي باشا حملة لنجدته سنة ١٢٢٨ هـ/ ١٨١٣م، فحرره، وأرسل حملة أخرى بقيادة إبراهيم باشا فعامل السعوديين بوحشية حاقدة بعد خروجهم من الحجاز، بل تجاوز الأوامر السلطانية العثمانية المقتصرة على إخراجهم من مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهاجم بلاد نجد ظلماً وعدواناً، واحتل الدرعية في شهر ذي الحجة سنة ١٢٣٣ هـ/ إبريل سنة ١٨١٨م إمعاناً فى ضرب المسلمين السُّنة المصريين والمسلمين السُّنة السعوديين بعضهم ببعض، وانتقاماً من السعوديين الذين ألحقو الهزائم بحلفاء البكتاشية الباطنيين في النجف وكربلاء، فآلت إليه ولاية جدة في ذي القعدة سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م

.

٧ ـ تظاهر محمد علي باشا بالطاعة للعثمانيين، فأرسل الجيش المصري إلى اليونان سنة ١٢٣٩ هـ/ ١٨٢٤م بقيادة إبراهيم باشا، والمستشار سليمان باشا الفرنساوي، وبعد السيطرة على اليونان هجمت القوات الأوروبية على المسلمين في ميناء نافارين، فأغرقت السفن المصرية والعثمانية، واستشهد ما يقرب من ثلاثين ألف مسلم، وانسحبت قوات محمد علي باشا سنة ١٢٤٤ هـ/ ١٨٢٨م، وحلَّت محلَّها القواتُ الفرنسية، وفُصلت اليونان عن السلطنة العثمانية وبعد الهزيمة صوّر المنافقون تلك الهزيمة فى صورة انتصار مهمّ ضمن انتصارات محمد علي باشا رغم أنها أسفرت عن عقد مؤتمر لندن في ٨ جمادى الأولى سنة ١٢٤٢ هـ/ ١٦ نوفمبر سنة ١٨٢٦م، وأسفر عن بداية انفصال اليونان.

٨ ـ اقتفت قوات محمد علي باشا آثار نابليون بالهجوم على بلدان الخلافة العثمانية في فلسطين بمساعدات فرنسية، ثم حقّقت سنة ١٢٤٧ هـ/ ١٨٣٢م ما عجز عنه نابليون من سفك دماء المسلمين في عكا وسوريا الكبرى، وفتحت المجال واسعاً أمام بعثات التنصير النصرانية، وعندما احتل مدينة حلب السورية، أعاد تشكيلات الإنكشارية ونحر القرابين وقدّمها في التكايا البكتاشية التي حلّها السلطان محمود الثاني سابقاً، وفي تلك الأثناء قام محمد علي باشا بمراسلة مصطفى باشا والي أشقودرة الألبانية وتحريضه على العصيان والتمرد على الخلافة الإسلامية العثمانية، واستنزف تمرده وعصيانه القوات العثمانية، وأضعفتها حيث وصلت شرورها إلى مدينة قونية في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٣٢م، وأعاد الإعتبار للإنكشارية المنحلة، وافتتح التكايا البكتاشية، وأرسلت القرابين إلى تكية حاجي بكتاش، وأمر إبراهيم باشا بإحياء الأنظمة التي ألغاها السلطان محمود الثاني ثم وصلت كوتاهية سنة ١٢٤٨ هـ/ ١٨٣٣م،

بسبب الدعم الروسي النمساوي الفرنسي الإنجليزي، وكانت تلك القوات التي بقيادة إبراهيم باشا الذي وصفه البيطار بقوله: غشومٌ ظالمٌ، وظلومٌ غاشمٌ مُحْتَوٍ على الفساد، منطوٍ على الإنكاد، مجبولٌ على الغلظة والقسوة، مجعولٌ من الفظاظة، معدومٌ من اللطافة والطلاوة، ممتلىءٌ منه البذا، متضلعٌ من الأذى، لم يخلق الله تعالى في قلبه شيئاً من الرحمة فيُنتَزع، ولم يودع الله لسانه لفظاً من الخير فيُستَمع، سفاكٌ لدماء المسلمين، نبادٌ لطاعة أمير المؤمنين، كان يعتقد أن ذلك ليس أمراً ذميماً.

٩ ـ تعاونت قوات محمد علي مع النصيرية البكتاشية والنصارى في بلاد الشام، وأهانت المسلمين السُّنَّة، وكانت بقيادة ابنه إبراهيم الذي وجهه والده إلى الأراضي الشامية، ليضمها إلى الحكومة المصرية، فلم يزل يسير بعساكره، متقلداً لسيف طغيانه ، حتى حلَّ حي عكَّة (سنة ١٢٢٧ هـ/١٨٣٢م)، وكان الوالي بها عبد الله باشا من طرف الدولة العثمانية، فدكَّها ، وكانت أعماله بمثابة انتقام لما لحق بعملاء الصفويين بعد وصول السلطان سليم الأول إلى بلاد الشام سنة٩٢٢ هـ/ ١٥١٦م، ولما لحق نابليون بونابرت من العار والهزيمة أمام أسوار عكا العثمانية الفلسطينية المجاهدة سنة ١٢١٤ هـ/ ١٧٩٩م.

والخلاصة: إنّ حركات محمد علي باشا وعصيانه وتمرده قد ساهمت فى إضعاف الخلافة الإسلامية العثمانية، وتقوية أعدائها من روس وأوروبيين وباطنيين وصهاينة، وهكذا يعتبر من أخطر أعدائها، وأعداء العرب والمسلمين، حيث أن عصاينه قد مهَّد الطريق أمام الاحتلال الإنجليزي لمصر سنة١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م، والاحتلال الفرنسي للجزائر سنة١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠م، ولتونس سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، والاحتلال الروسي للأفلاق والبغدان فى رومانيا سنة ١٢٦٥ هـ/ ١٨٤٨م، ونشر التغريب في مصر، وأضعف التعريب وأتاحت أسرة محمد علي المجال لعودة التشيع إلى مصر، وسمحت بدراسة التشيع في الجامع الأزهر.

<u>البكتاشية فى عهد السلطان محمود العثمانى</u>

تعرضت الطريقة البكتاشية لضربة قوية في عصر السلطان العثماني محمود عام ١٢٤٢ ه/١٨٢٦ م وأدى ذلك لاضغاف نفوذ القوات الانكشارية التي كانت على الطريقة البكتاشية ، و قتل ٣ من رؤسائها بناء على فتوى شرعية من مفتي الدولة ، ومن هؤلاء الرؤساء شيخ تكية .

وأدت هذه الضربة للقضاء على الانكشارية بشكل نهائي ، غير ان البكتاشية ظلت موجودة و لجأت الى العمل السري وكان السلطان محمود رحمه الله قد اصدر فرمانا بالقضاء على القوات الانكشارية البكتاشية بسبب المخالفات التي قامت بها ونص الفرمان :

لقد قامت الانكشارية بمخالفة الشريعة الشريفة، وتجرأت على استحلال المحرمات وترك الصوم والصلاة وتكفير الخلفاء الراشدين وتركوا الطريق المستقيم بسبب جهل البعض من ذوى الايمان الضعيف وانحرفوا إلى طريق الضلال ويذكر أسعد افندي المؤرخ الروسي للسلطان محمود الثاني في كتابه اس ظفر : ان البكتاشية اتحدت مع الانكشارية وقاموا بخيانة الدين والدولة وفيما يختص بخيانة الدين فانهم قاموا بنشر الالحاد بين الشعب وسلكوا طريقاً غير مشروعة في الزوايا والتكايا ، فشربوا الخمر، وسخروا بعقائد أهل السنة علانية مثل أداء فرائض الصلاة والصوم في شهر رمضان ، أما خيانتهم للدولة فتمثل في تدخلهم في شئون الدولة ومحاولة تغيير السلطة وتدخلها في نظام الضرائب في الدولة إلى جانب التمردات والثورات التي أثارتها بين المدنيين بغرض معارضة نظام الدولة.

وكانت الانكشارية قد قادت بعض الثورات على الدولة العثمانية وبدأت في اثارة الشعب في استانبول على العثمانيين ، وكانت احدى هذه الثورات في اليونان على يد ثوري يوناني ينتسب إلى الطريقة البكتاشية ويعتنق المسيحية ويؤمن بأن البشر أبناء الخالق وكان متأثرا بأفكار نابوليون ونشأت علاقة بين البكتاشية والماسونية وكان لها علاقة عضوية مع بعض المحافل الماسونية الفرنسية.

البكتاشية فى عهد الاتحاد والترقى :

كان طلعت باشا رئيس الجمعية بكتاشياً وماسونياً وقامت الجمعية باستقطاب أعضاء لها من البكتاشية الذين كان لهم قوة وسلطة دينية في الدولة ونفوذ قوي للاستفادة منهم في تقوية نفوذ الجمعية .

ويقول الفيلسوف التركي رضا توفيق : في عهد الاتحاد والترقي كان هناك وجود عناصر تابعة للبكتاشية بأعداد كبيرة من بين كبار الأعضاء وبين صفوف جمعية الشبان الأتراك وكان هؤلاء على استعداد للقيام بثورات وانقلابات وبالاضافة إلى هذا كانت هناك عناصر بكتاشية مثقفة تشغل مناصب قيادية في استانبول وغيرها من المراكز الثقافية الكبرى.

ويقول: أنا شخصيا أعرف منهم الوزراء والسفراء والشعراء وقد رأيت اثنين من البكتاشيين يحتلان منصب شيخ الاسلام وأحدهما كاظم أفندي نعم كان يوجد عناصر بكتاشية كثيرة بين أعضاء الجمعيات الثورية الموجودة في استانبول وعلى رأسها جمعية الاتحاد والترقي التي كان يرأسها طلعت باشا ، وكان البكتاشيون دائماً فى مساندة الجمعية.

نفوذ البكتاشيين فى عهد مصطفى كمال اتاتورك:

يتبين نفوذ البكتاشية في تركيا المعاصرة من ذكر علاقتها بمصطفى كمال أتاتورك وتقربه إلى هذه الطريقة للاستفادة من تأثيرها الديني وكثرة اتباعها الذي كانوا يقدرون بالملايين ، و قام أتاتورك بزيارة تكية البكتاشية الكائنة في قيصرية وكان جمال الدين أفندي هو شيخ الطريقة في ذلك الوقت ، وكان يتزعم ٦ ملايين بكتاشي في الأناضول ، وكان نائب مدينة قير شهر في البرلمان التركي عند افتتاحه عام ١٩٢٠ م وكان أيضاً نائب رئيس البرلمان ، والشخص الثاني في الطريقة بعده يدعى صالح نهازي بابا ويقوم مقام البابا في الطريقة وكان العلويون عامة والبكتاشيون خاصة لا يخرجون عن طوع هذين الرجلين.

وقد استقبل جمال الدين أفندي أتاتورك قبل أن يصل إلى قبر الشيخ بكتاش واصطحبه إليه يوم الجمعة ١٩١٩/١٢/٢٤ ثم توجه أتاتورك إلى زيارة نيازي بابا وعقد الثلاثة اجتماعاً ثلاثياً مغلقاً لم يشترك فيه أحد سواهم ،ولا يعرف حتى اليوم ما حدث في هذا اللقاء إلا أنه كان اتفاقاً لتحالف .

بعد وفاة جمال الدين عام ١٩٢٢ خلفه على الطريقة أخوه ولي الدين وألقى خطاباً في البرلمان التركي كشف فيه عن مساندة العلويين والبكتاشيين للحكومة الجمهورية بقيادة أتاتورك وأهم ما جاء فيها إلى كل المحبين المخلصين لجدي حاجي بكتاش ولي ان تصريحات وبيانات الفاتح مصطفى كمال باشا الجليل رئيس مجلس الأمة التركي تبعث الشرف للامة الاسلامية كلها وتضمن احياء واستقلال أمتنا وكلها معلومة لدينا جميعاً.

ومن الواجب علينا تنفيذ كل مطالب الفاتح الباشا بخصوص رقي وعلو هذا الوطن ، وجميع أفكاره صائبه وأن من ينكر هذا فلا علاقة لنا به أبداً، وانني أوصي جميع النتسبين إلى طريقتنا العلية بأهمية شديدة بأن لا يؤيدوا أحداً إلا هو ، ومن لم يعمل بنصيحتي فليس منا وسأكرر بياني مرة أخرى لن ينقذ الأمة سوى مصطفى كمال باشا وكل أبناء طريقتنا ووطننا معه .

البكتاشية انتصرت بها الدولة العثمانية

أدّت البكتاشية مهمة عظيمة للدولة العثمانية، فقد وحّدت أغلب الفرق والطرق الصوفية، خاصة ذات الشكل الباطني عقائدياً كالقلندرية والحيدرية ، وهضمت تعاليم السابقين في طريقتها، ووحدت إلى حدّ كبير الفكر الصوفي في تركيا، مما قوّى الكيان العثماني وقتها، ومن خلال دورها السياسي أحرزت الدولة العثمانية انتصارات شتّى شرقًا وغربًا، وأثرت البكتاشية في معسكر الجيش الانكشاري الذي عُدّ من أتباع الطريقة البكتاشية، وارتبط بها ارتباطاً وثيقًا، وأصبح اسم حاجي بكتاش ولي من أشهر الأسماء في تلك الفترة، ونظر إليه باعتباره أبرز الأولياء وأنجعهم أثراً.زز

البكتاشية ودورها فى إلغاء الخلافة العثمانية

وأما في اسطنبول مركز الخلافة العثمانية الإسلامية، فبعدما ألغى السلطان محمود الثاني الإنكشارية والبكتاشية لاذت فلولهما بالعمل الباطني السِّرِّي، وتظاهرت بالعِلمانية، ثُمَّ انخرطت تلك الفلول مع يهود الدونمة وأتباعهم، وشكَّلوا جمعيَّة الاتحاد والترقي التي تعاوَن زعيمُها طلعت باشا مع الصهيونية انطلاقًا من سالونيك اليونانية، واستطاعت القيام بانقلابها ضدَّ الخليفة عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٩م، ثم قامت بانقلاب ٢٣ يناير سنة ١٩١٣م بقيادة الثلاثي الاتحادي: أنور باشا وطلعت باشا وجمال باشا، وبعد الحرب العالمية الأولى استطاع أعداء الإسلام القضاء على السلطنة العثمانية سنة ١٩٢٣م، وإلغاء الخلافة الإسلامية السُّنِّيَّة في ٣ مارس سنة ١٩٢٤م، بالتعاون بين القُوى غير الإسلامية التي جنت ثمار الحرب العالمية الأولى التي تمخضت عن اتفاقية سايكس بيكو

التي بدأ تطبيقها العملي منذ سنة ١٩١٦م ومازال التآمر مستمرًا ظاهرا وَباطنًا حتى الآن مرَّة باسم الحداثة، ومرة باسم العلمانية، ومرة باسم الديمقراطية، ومرة باسم الحرية والإخاء والمساواة، والهدف والغاية التي من كل هذه الوسائل هي القضاء على الإسلام والمسلمين.

الباب الرابع

انتشار البكتاشية

☆☆☆

الاختلاط بين الجنسين والانتشار بين الشعوب

ليس هناك فرقة دينية ذهبت بعيداً في الغاء كل تمييز بين المرأة والرجل عند ممارسة الطقوس والشعائر الجماعية مثلما فعلت الطريقة الصوفية البكتاشية ولما كانت طقوس البكتاشية تشمل حلقات الذكر، والرقص الصوفي، والغناء والإنشاد، والتشارك في الطعام والمشرب، تحوّل الاختلاط بين الجنسين إلى داء مزمن عند أتباع هذه الطريقة التي يتسمّى المريد فيها بالعاشق فالمحب فالدرويش، أو يصعد في مسالك العارفين، ليصير البابا، باب التكية، أو المرشد أو الخليفة بابا، في حين يميّز رأس هرم الطريقة بالدده بابا .

وتنتشر البكتاشية اليوم، بشكل أساسي، في تركيا وألبانيا ولا يقل البكتاشيون عن ربع المسلمين في ألبانيا، ولا يتسمون بالعلويين، وقد انتقل مركز الفرقة إلى تيرانا بعد حظرها في تركيا الجمهورية، ثم ما لبث أن اضطهدت في ألبانيا على أيدي الشيوعيين، في حين بقي بكتاشيو تركيا إلى جانب الخيارات العلمانية للنظام الجمهوري، رغم حظر فرقتهم، وعملوا على إعادة وتشريع وجودهم.

صعود البكتاشية وهبوطها

أسس خنكار بكتاش النيسابوري أول تكية بكتاشية في الأناضول، ونشر دُعاته وجواسيسه في العالم الإسلامي، وكثر مريدوه، وذاع صيته، ووصل إلى السلطان أورخان العثماني المتوفي سنة ٧٦١هـ ١٣١٦م، فكلَّف حاجي بكتاش بتعليم أبناء الأسرى من أهل الذمة، فنشر بينهم الطريقة البكتاشية الباطنية، واستطاعت البكتاشية تسخير الإنكشارية للانتقام من السلاطين الذين عارضوا الباطنية، فمرَّت الطريقة البكتاشية بمراحل الصعود والهبوط جرّاء مؤآمراتها،

فقد تخاذل الإنكشاريون البكتاشيون أثناء الحروب، فتآمروا مع الباطني تيمور لنك، وتخلوا عن السلطان أبايزيد الأول ١٣٨٩ ـ ١٤٠٣ في معركة أنقرة سنة ٨٠٤ هـ/ ١٤٠٢م وتمرّد الإنكشارية على السلطان سليم الثاني في بداية حُكمه ١٥٦٦ ـ ١٥٧٤م، وأضعفوا الدولة أثناء التمرد الزيدي في اليمن، وقتل الإنكشاريون البكتاشيون الصدر الأعظم ديلاور باشا ديار بكر، والصدر الأعظم حسين باشا سنة ١٠٣٢ هـ/ ١٦٢٢م، وقتلوا السلطان كنج عثمان الثاني ١٦١٨ ـ ١٦٢٢م حينما فكَّر فى إلغاء الإنكشارية البكتاشية وفيالق القابو قولو الموالية لهم١٧، وقتلوا السلطان إبراهيم الأول ١٦٤٠ ـ ١٦٤٨م بعدما فتح جزيرة كريت ، وفرضوا وصايتهم على السلطان مراد الرابع ١٦٢٣ ـ ١٦٤٠ في بداية سلطنته،وأعلنوا العصيان بقيادة رجب باشا سنة ١٠٤٢ هـ ١٦٣٢م، وقتلوا الصدر الأعظم حافظ أحمد باشا، وعَيَّنوا رئيس الأشقياء طوبال رجب باشا صدراً أعظم، ولكن السلطان مراد أعدمه سنة ١٠٣٢ هـ/ ١٦٣٢م، وقاد السلطان حملة عسكرية ضدّ الصفويين وحرّر عِراقَ العرب من ظُلْم العجم بعدما كسر شوكة عملائهم الإنكشارية البكتاشية الذين استعادوا قوتهم ،

وفرضوا سيطرتهم على السلطان محمد الرابع ١٦٤٨ ـ ١٦٨٧م، وكانوا قد خلعوا السلطان مصطفى الأول سنة ١٦٢٣م ثم خلعوا مصطفى الثاني١٦٩٥ ـ ١٧٠٣م في أدرنة ، وخلعوا السلطان أحمد الثالث١٧٠٣ ـ ١٧٣٠م بعدما انتصر على إيران، وعُرف تمرُّد الإنكشارية بعصيان باترونا، وعزلوا السلطان سليم الثالث سنة ١٢٢٢ هـ/ ١٨٠٧م، ثم قتلوه سنة ١٩٠٨م ولم يأبهوا بالغزو الفرنسي لمصر وبلاد الشام، ولا بالتحركات الإيرانية والروسية، وخلعوا السلطان مصطفى الرابع سنة ١٢٢٣ هـ/ ١٨٠٨م، وتمادوا في إلحاق الضرر بالسلطنة العثمانية، وتقديم الخدمات لأعداء الإسلام، وسقطت الأقنعة، وكُشف أمر التعاون الخطير بين البكتاشية الباطنية والإنكشارية ضدَّ الخلافة الإسلامية العثمانية، فأمر السلطان محمود الثاني١٨٠٨ ـ ١٨٣٩م بإغلاق الزوايا البكتاشية في تركيا بعدما قضى على الإنكشارية في ٩ شوال سنة ١٢٤١ هـ ١٨ مايو سنة ١٨٢٦م .

انتشار البكتاشية فى بلاد الخلافة العثمانية

أسس الشيخ خنكار أول تكية صوفية للطريقة وابتدأ الأتباع والرواد يكثرون، ويسكنون في القرية التي لم تكن إلا سبعة بيوت فقط ثم اكتشفوا جبلاً من جبال الملح سموه جبل ملح الحاج بكتاش، واشتهر هذا الملح حتى كان يموِّن ويزوِّد مطابخ السلطان العثماني الذي كان يحصل منه على مليونين أقة الأقة وزن يكبر من الكيلو بقليل كل عام ولما ذاع صيت الشيخ خنكار بكتاش ووصل الأمر إلى السلطان أورخان غازي العثماني المتوفى سنة ٧٦١هـ عمد هذا السلطان إلى الشيخ خنكار ليعلم أولاد الأسرى من أهل الذمة، وممن لا أب لهم، ينشئهم على طريقة الدارسين البكتاشية.

البكتاشية فى مصر:

لم تُطهَّرْ مصرُ من بقايا الباطنيين العُبيديين جرّاء التسامُح والرحمة والشفقة التي اتسم بها المصريون، وهذا ما سمح للباطنيين أن ينتقلوا من العمل العلني إلى العمل السريّ، وهناك أدلة على استمرار العمل الباطني يمكننا أن نتتبعها من خلال تتبُّع تاريخ وأنشطة كهف السودان الواقع على سفح جبل المقطّم الذي يُطلّ على قلعة محمد علي باشا، ويُعرف بعدّة أسماء هي: كهف السودان، وتكية البكتاشية، وضريح عبد الله المغاوري، وزاوية المغاوري، وخانقاه وتكية المغاوري ويعود تاريخ إنشاء كهف السودان إلى عهد الحاكم العبيدي الباطني الظاهر لإعزاز دين الله ٤١١ – ٤٢٧ هـ /١٠٢١ـ ١٠٣٦م ٨، وكان آخر مَن أقام بهذا الكهف قديماً عبد الله بن الحسن بن قرقوب سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٥٦م فى عهد المستنصر بالله العبيدي الباطني

.

وممن أقام بهذا الكهف البابا قابغوسز الأرناؤوطي المشهور باسم عبد الله المغاوري الذي حضر إلى مصر سنة ٧٦١ هـ/ ١٣٥٩م، وأقام بالقاهرة، ثم سافر إلى الحجاز ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م، ثم سافر إلى العراق وزار النجف وكربلاء، ثم عاد إلى مصر مرة أخرى سنة ٧٩٩ هـ ١٣٩٦م ، ومات فيها سنة ٨١٨ هـ/ ١٤١٥م، ودفن في القبر المعروف باسمه في كهف السودان، وتتابع دفن باباوات البكتاشية في كهف السودان، وحمل الرقم السادس والثلاثين محمد لطفى بابا الأرناؤوطي الذي قصد إسطنبول سنة ١٣٠٠ هـ ١٨٨٢م،ثم زار كربلاء،وعاد إلى تكية مؤسس البكتاشية، في تركيا، ثم عُيِّن بابا للبكتاشية في مصر سنة ١٣١٩ هـ ١٩٠١م، ثم تنازل عن البابوية سنة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٦م لأحمد سري بابا الألباني.

ولقد كان من شيوخ تكية كهف السودان في المقطم نعمة الله الحسيني شيخ زاوية كرمان الجلالية الذي قدم إلى مصر سنة ٨٢٠هـ ١٤١٧م ولما مات الحسيني، قام بتجديد كهف السودان، أو التكية مريده نور الدين أحمد الإيجي سنة ٩٠٥ هـ ١٤٩٩م، ثم آلت التكية رسمياً إلى طائفة البكتاشية التي تُنسب إلى الباطني حاجي بكتاش النيسابوري.

وخلال الفترة من عام ١٣٢١ هـ ١٩٠٣م إلى عام ١٣٤٥هـ ١٩٢٧م قام كلاً من الأمير كمال الدين حسين نجل السلطان حسين كامل ١٩١٤-١٩١٧ م والأمير لطفي أحد شيوخ التكية بتجديد ضريح المغاوري كما يتضح من نص التأسيس بضريح عبد الله المغاوري الأرناؤوطي.

ومِن بكتاشية محمد علي باشا المُقربين الذين ذكَرَهم الجبرتي أكثر من مرة عبد الله بكتاش الترجمان، ومن ذلك قوله أخذ الباشا محمد علي يدبِّر في تفريق جمعهم، وخذلان السيد عمر مكرم لما في نفسه من عدم إنفاذ أغراضه، ومعارضته له في غالب الأمور ثم في ليلتها حضر ديوان أفندي ، وعبد الله بكتاش الترجمان، وحضر المهدي، والدواخلي، الجميع عند السيد عمر، وطال بينهم الكلام والمعالجة في طلوعهم ومقابلتهم الباشا فاعتذر الشيخ الأمير بأنه متوعِّك، ثم قام المهدي والدواخلي وخرجا صُحبة ديوان أفندي، وعبد الله بكتاش الترجمان، وطلعوا إلى القلعة وتقابلوا مع الباشا ودار بينهم كلام ثم أخذ يلوم على السيد عمر في تخلفه وتعنُّته، ويثني على البواقي فعند ذلك تبين قصْدُ الباشا لهم، ووافق ذلك ما في نفوسهم من الحقد على السيد عمر .

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم الجمعة سنة ١٢٢٤هـ وفيه حضر ديوان أفندي، وعبد الله بكتاش الترجمان، واجتمع المشايخ ببيت السيد عمر، وتكلموا في شأن الطلوع إلى الباشا ومقابلته، فحلف السيد عمر أنه لا يطلع إليه، ولا يجتمع به ولا يرى له وجهاً إلا إذا أبطل هذه الأحدوثات ثم اتفقوا على طلوع الشيخ عبد الله الشرقاوي والمهدي والدواخلي والفيومي على خلاف غرض السيد عمر، وظنَّ أنهم يمتنعون لامتناعه للعهد السابق والأيمان، فلما طلعوا إلى الباشا وتكلمُّوا معه وقد فهمَ كلٌّ منهم لُغَةَ الآخر الباطنية .

وهنا يصبح السؤال مشروعاً عن لغتهم الباطنية التي يشارك فيها عبد الله بكتاش، وعن علاقة محمد علي باشا مع عبد الله بكتاش والبكتاشية، ويضاف إلى ذلك السؤال عن علاقة نجل السلطان حسين كامل بالطريقة البكتاشية الباطنية، ودفنه في كهفهم؟.

ومما يؤكد ارتباط أسرة محمد علي باشا بالبكتاشية اهتمام حُكام العائلة وأتباعها بالتكية البكتاشية والبكتاشيين، ومن القرائن على ذلك وجود ضريح الأمير كمال الدين حسين وعائلته في تكية البكتاشية سابقاً، قبل نقله إلى مقابر العائلة المالكة بالبساتين ومن قرائن الأدلة على الارتباط الأرناؤوطي الألباني بالبكتاشية وجود تابوتين في مقبرة التكية البكتاشية لكل من الأميرة روحية والأميرة نافية ابنتي الملك الألباني السابق أحمد زغو البكتاشي الذي تولّى حكم ألبانيا سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م وأقام في مصر فترة من الزمن .

ومن الراجح أن البكتاشية ازدهرت في مصر في عهد شيخها الأرناؤوطي أحمد سري دده بابا الذي تولي أمر التكية سنة ١٩١٧م، وأقام علاقاتٍ وثيقةً مع باطنية إيران، ومن الأدلة على التغلغل الفارسي الباطني بين بكتاشية مصر وجودُ لوحتين من الرخام الملون في التكية البكتاشية، كُتِبَتا باللغة الفارسية، وتحتوي كلّ منهما على نَّصٍّ التأسيس لتجديد الضريح الذي قام به كلٌّ من الأمير كمال الدين حسين نجل السلطان حسين، والأمير لطفي دده بابا أحد شيوخ التكية البكتاشية واحتوت هذه التكية على ما يُعرف باسم الكوشك وكان خاصا بشيخ البكتاشية أحمد سري دده بابا، وقد أنشأ الكوشك سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤م، وعندما اجتاحت قوات إبراهيم باشا حلب والأناضول أعادت التشكيلات الإنكشارية، ونحرت القرابين في التكايا البكتاشية بأمر البكتاشي الباطني إبراهيم باشا بن محمد علي باشا.

وقد انتشرت هذه الطريقة فى مصر، وكانوا يسكنون أول الأمر فى تكية القصر العيني التي أنشأها الناصر فرج بن برقوق سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م، ثم سكن فيها الشيخ عبد الله المغاوري ودراويشه، ثم انتقل البكتاشيون إلى كهف السودان في عهد الخديوي إسماعيل باشا.

ويقول البكتاشيون: استطاع مؤسس الطريقة البكتاشية خنكار محمد بكتاش أن يربي مجموعة من المريدين وكان منهم أبدال موسى سلطان الذي كان خليفة بعده، وربى أبدال هذا رجلاً يسمى قبوغوسز مجهول الحسب والنسب تسمَّى بغيبي واستطاع هذا الرجل أن يرتحل مع مجموعة من الدراويش من تركيا إلى مصر، واختار لمن يصحبه في هذه الرحلة دراويش من النوع الذين يطيعون في كل صغيرة وكبيرة حتى إنه كان يقول لهم عن الشجرة الباسقة الطويلة هذه شجرة قثاء، فيقولون: نعم هي قثاء.

بدأ انتشار بذور الطريقة البكتاشية في مصر مع قُدوم قبوغوسز الذي سمّى نفسه عبدالله المغاوري، وسمّى البكتاشيون أوّل تكية لهم: تكية القصر العيني، وظل هذا الحال قائماً في مصر إلى سنة ١٢٤٢هـ ١٨٢٦م، واستمرت الطريقة البكتاشية في مصر، وترأسها الشيخ علي الساعاتي الذي حاز لقب دده بابا وبنى تكية بكتاشية في باب اللوق، وأخذ يُعطي العهود البكتاشية، ويقيم الطقوس البكتاشية وفي سنة ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م

صدرت أوامر محمد سعيد باشا ١٨٥٤-١٨٦٣م بتخصيص المغاره التي دُفن فيها عبدالله المغاوري قبوغوسز للطريقة البكتاشية، وهذا يعني أن رابع حكّام أسرة محمد علي باشا قد جاهر بولائه للبكتاشية الباطنية التي تعتنقها الأكثرية الألبانية الأرناؤوطية في آقجه حصار تيرانا وغيرها.

وبعد أن انتحر صالح نيازي بابا سنة ١٩٤٩، اجتمع أتباع الحركة البكتاشية واختاروا أحمد سري البكتاشي الأرناؤوطي شيخاً لتكية قبوغوسز الأرناؤوطي عبدالله المغاوري وكان ذلك في ٣٠ يناير سنة ١٩٤٩م ومنذ ذلك الوقت أصبح المقرُّ الرئيسي للبكتاشية العالمية في مصر، وأصبح أحمد سري دده بابا شيخ مشايخ البكتاشية وفي يناير سنة ١٩٥٧م أمرت حكومة الجمهورية المصرية بإخلاء تكية المقطم، وأعطت البكتاشيين مقراً آخر في ضاحية المعادي فصمّموه على غرار التكايا البكتاشية، ثم نشط البكتاشيون في مصر، وجدَّدوا تكاياهم القديمة، وأنشأوا الكثير من المكتبات والمراكز السرية، وأقاموا علاقات قوية مع أغا خان الإسماعيلية، وزودتهم سفارة إيران الخمينية بالمطبوعات، وعاضدهم نصيرية سوريا العلويين أبناء جبل اللُّكام، وبقية اتباع الحركات الهدّامة وأهل البدع.

استطاع مؤسس الطريقة البكتاشية وهو خنكار محمد بكتاش أن يربي مجموعة من المريدين وكان منهم أبدال موسى سلطان الذي كان خليفة بعده، وربى أبدال هذا رجلاً يسمى قبوغوسز وهذا القبوغوسز لا يعرف من أبوه ولا أمه، وإنما تسمى بغيبي الرسالة الأحمدية ص٣٤، واستطاع هذا الرجل أن يرتحل مع مجموعة من الدراويش من تركيا إلى مصر، واختار لمن يصحبه في هذه الرحلة دراويش من النوع الذين يطيعون في كل صغيرة وكبيرة حتى إنه كان يقول لهم عن الشجرة الباسقة الطويلة، هذه شجرة قثاء فيقولون: نعم هي قثاء الرسالة الأحمدية ص٣٨

ولما دخل بهم مصر، أمرهم أن يضع كل منهم على عينه قطعة قطن؛ فلما سألهم الشرط والجنود عن ذلك قالوا: إننا نغمض عين الظاهر، وننظر بعين الباطن، والناس على دين ملوكهم وكان قد علم قبوغوسز أن الأمير يشتكي من وجع عينه!! وأراد الملك أن يختبرهم فعمل لهم وليمة كبرى ووضع لهم ملاعق طويلة جدًا وأحضر وجهاء الناس ليأكلوا، وأمرهم ألا يأكلوا إلا بهذه الملاعق، فعجز الجميع عن الأكل إلا قبوغوسز ودراويشه فإنهم تناولوا الملاعق الطويلة،

وكان كل منهم يطعم من أمامه وهكذا وسر بهم الأمير الذي أعطاهم مكانًا يبنون فيه تكية أي زاوية ورباطًا لهم ومنذ ذلك الوقت، وهو سنة ٨٠٠هـ، بدأ انتشار الطريقة البكتاشية في مصر في بداية القرن التاسع الهجري وسمى قبوغوسز نفسه عبدالله المغاوري، وسموا أول تكية لهم تكية القصر العيني

وظل هذا الحال قائمًا في مصر إلى سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م حتى جاء السلطان محمود الثاني العثماني فأمر بإلغاء الإنكشارية والطريقة البكتاشية، وأعطيت أملاكهم للطريقة القادرية، ولكن في عهد السلطان عبد المجيد عادت الطريقة البكتاشية مرة ثانية إلى مصر بعد أن سمح لهم هذا السلطان بالعمل والنشاط وذلك منذ عام ١٢٥٥هـ حيث حصل الشيخ علي الساعاتي على لقب دده بابا أي شيخ المشايخ، فجمع الدراويش حوله مرة ثانية وبنى تكية جديدة في باب اللوق، وأخذ يعطي العهود ويقيم حلقات الذكر

وفي سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م صدرت أوامر الحكومة المصرية بتخصيص المغاره التي دفن فيها عبدالله المغاوري قبوغوسز للطريقة البكتاشية، فبنوا تكية عظيمة هناك بعد أن طردوا الرعاة والبدو الذين يلجأون إليها بأغنامهم وإبلهم وبنوا قبة عظيمة لمؤسس طريقتهم في مصر وأصبحت هذه التكية فيما بعد قبلة الشعب المصري حيث يؤمونها لزيارة ولي الله المغاوري!! الذي تخصص بتحبيل النساء وشفاء الأمراض وتلبية الحاجات فكانت تقصده كل امرأة لا تلد، وكانت المرأة تدخل في المغارة ضمن كهوف مظلمة طويلة وبقيت تكية المغاوري هذه تابعة للمركز الرئيسي للطريقة في تركية، ثم أصبحت تابعة للمركز الرئيسي في ألبانية، ثم بعد أن قتل صالح نيازي بابا نفسه سنة ١٩٤٩م، اجتمع أتباع الطريقة واختاروا أحمد سري شيخ تكية قبوغوسز عبدالله المغاوري شيخًا لمشايخ علوم الطريقة وكان ذلك في ٣٠ يناير سنة ١٩٤٩م الرسالة الأحمدية ص٣١

ومنذ ذلك الوقت أصبحت مصر هي المقر الرئيسي لهذه الطريقة، وأصبح أحمد سري دده بابا هو شيخ مشايخها وفي يناير سنة ١٩٥٧م أمرت الحكومة المصرية بإخلاء تكية المقطم لوقوعها ضمن المناطق العسكرية، وأعطت الحكومة أرباب الطريقة مكانًا آخر في ضاحية المعادي حيث أسس المقر الجديد على غرار التكايا البكتاشية ثم نشط البكتاشيون، وجددوا التكايا القديمة التي لهم

هذه لمحة سريعة عن تاريخ هذه الطريقة التي نشأت وترعرعت في أوساط أهل السنة في تركيا ومصر، وسيعجب القارئ أشد العجب عندما يعلم أن هذه الطريقة شيعية خالصة في المعتقد والأذكار والمشاعر، وأنها لا تمت إلى أهل السنة بصلة مطلقًا سيعجب كيف خفي مثل ذلك على علماء الإسلام ورجال السنة في تركيا ومصر، ولكن يزول العجب عندما نعلم أن الظاهر الصوفي كان دائمًا خدَّاعًا يخفي تحته ما يخفي من العقائد الباطنية وهو ما سنتعرف عليه في المقال التالي الطريقة البكتاشية خليط من الصوفية والتشيع

البكتاشية فى تركيا

في تركيا، تتداخل الطريقة مع علويي الأناضول إلى حد كبير، وتدخل معظم الجمعيات البكتاشية فيها ضمن الفدرالية العلوية البكتاشية ويتراوح عدد علويو الأناضول البكتاشيون، بين سبعة ملايين وإحدى عشر مليوناً، ويتوزّعون بين أتراك وأكراد، وهم طريقة في التصوّف الباطني، لابد من عدم الخلط بينها وبين العلوية النصيرية، فالأخيرة طائفة دينية عرفانية، من خارج مقال التصوّف الدراويشي، تأسست في القرن الحادي عشر الميلادي في العراق، وينتشر أتباعها اليوم بين لواء الإسكندرون وجبل العلويين في سوريا وشمال لبنان.

والثالوث العلوي البكتاشي الحق محمد علي يختلف عن الثالوث العلوي النصيري علي محمد سلمان، المرمز له كوكبياً بالقمر والشمس والسماء وليس في العلوية النصيرية تنظيم طرقي هرمي يقارن بمنظومة التكايا البكتاشية، ويحضر في النصيرية الاعتقاد بالتقمص

وتناسخ الأرواح وهذا غائب في البكتاشية ولا تقيم العلوية النصيرية اعتباراً تبجيلياً محورياً لمؤسسها، محمد بن نصير النميري، الذي تعتبره ناقل تعاليمها الأولى عن الإمام الحادي عشر عند الشيعة، حسن العسكري أمّا البكتاشية فتستند بشكل أساسي إلى تركة وخوارق مؤسسها التي تتمازج في سيرته حوادث التاريخ مع عجائب الأسطورة .

انتقال المركز البكتاشي من تركيا إلى ألبانيا

حينما هُزمت البكتاشية في إسطنبول وما حوْلَها، وانتقلت من العَلَن إلى السرِّ بدأ ازدهارُها فى ألبانيا بعدما هاجر إليها صالح نيازي، وصار فيها دده بابا ثم قُتل سنة ١٩٤٢م، وحلَّ محلَّه ابنُه عباس دده بابا الذي انتحر سنة ١٩٤٩م، وبعد مصرعه انتقل مركزُ البكتاشية الرئيسي إلى القاهرة في مصر، وحظيت البكتاشية الباطنية برعاية آل محمد علي باشا، وتغلغلت بين البسطاء فاستغلتهم، وتولى توجيهَها رؤوسُ الباطنية السريين الذين حاولوا إضعافَ جُمهورِ المسلمين السُّنَّة في مصر عن طريق تضليلهم، وتفريق كلمتهم، وموالاة أعدائهم من البدعيين وغير المسلمين .

أما في إسطنبول مركز الخلافة العثمانية الإسلامية، فبعدما ألغى السلطان محمود الثاني الإنكشارية والبكتاشية لاذت فلولهما بالعمل الباطني السِّرِّي، وتظاهرت بالعِلمانية، ثُمَّ انخرطت تلك الفلول مع يهود الدونمة وأتباعهم، وشكَّلوا جمعيَّة الاتحاد والترقي التي تعاوَن زعيمُها طلعت باشا مع الصهيونية انطلاقاً من سالونيكا اليونانية، واستطاعت القيام بانقلابها ضدَّ الخليفة عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٩م، ثم قامت بانقلاب ٢٣ يناير سنة ١٩١٣ بقيادة الثلاثي الاتحادي: أنور باشا وطلعت باشا وجمال باشا، وبعد الحرب العالمية الأولى استطاع أعداء الإسلام القضاء على السلطنة العثمانية سنة ١٩٢٣م، وإلغاء الخلافة الإسلامية السُّنِّيَّة في ٣ مارس سنة ١٩٢٤م بالتعاون بين القُوى غير الإسلامية التي جنت ثمار الحرب العالمية الأولى التي تمخضت عن اتفاقية سايكس بيكو التي بدأ تطبيقها العملي منذ سنة ١٩١٨م، ومازال التآمر مستمراً ظاهراً وباطناً حتى الآن مرَّة باسم الحداثة، ومرة باسم العلمانية، ومرة باسم الديمقراطية، ومرة باسم الحرية والإخاء والمساواة، والهدف والغاية من كل هذه الوسائل هي القضاء على الإسلام والمسلمين.

بدأ انتشار هذه الطريقة فى مصر فى بداية القرن التاسع الهجرى، على يد قبو غوسز، الذى أطلق على نفسه اسم عبدالله المغاورى وسمى أول تكية لهم باسم قصر العينى يقول أحمد سرى دده بابا شيخ مشايخ الطريقة، والطريقة العلية البكتاشية هى طريقة أهل البيت الطاهر، رضوان الله عليهم أجمعين الرسالة الأحمدية ص٦٧ ويقول أيضاً: وجميع الصوفية على اختلاف طرقهم يقدسون النبى وأهل بيته ويغالون فى هذه المحبة

الرسالة الأحمدية ص٦٨

<u>انتشار البكتاشية فى ألبانيا:</u>

تنتشر البكتاشية اليوم في وسط وجنوب ألبانيا حيث تأسست عدة تكايا مهمة في نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر كما في إلباسان علي يد جفاي إبراهيم بابا قبل ١٧٨٠م، وفي كرويا علي يد شميشي بابا حوالي ١٧٩٠ وفي مقاطعة جيروكاسترا على يد عاصم بابا حوالي ١٨٠٠ أي بعد حوالي قرن من بدايات البكتاشية في ألبانيا، وفي الحقيقة تزامن هذا التطور الذي سيعقبه انتشار واسع للبكتاشية في ألبانيا الجنوبية مع نفوذ علي باشا يانيتا في المنطقة، حيث حاول على نمط معاصره محمد علي باشا في مصر أن يستقل بباشاوية كبيرة شملت جنوب ألبانيا وشمال اليونان .

وتجدر الإشارة إلى أن محمد علي باشا كان قد انضم إلى الباشوية على يد شميشي بابا الذي لعب دوراً كبيراً في نشر البكتاشية في ألبانيا الجنوبية خلال ذلك الوقت وأسس تكية كرويا حوالي سنة ١٧٩٠ التي أصبحت بعد ذلك أهم مركز روحي للبكتاشية في ألبانيا.

البكتاشية وجيش الانكشارية

وكانت الفرصة الذهبية لانتشار الطريقة أن الجيش الذي عرف بعد ذلك بالجيش الإنكشاري أي الجيش الجديد الذي كان عماد الحروب التركية بعد ذلك، ثم كان هو الجيش المتسلط على مرافق الحياة كافة في تركيا وهكذا استطاعت الطريقة البكتاشية أن تنتشر وأقيمت المقامات على قبور من مات من مشايخها، وبعض هذه القبور غطيت بالذهب الخالص وقد تنافس السلاطين العثمانيون في بناء التكايا والزوايا والقبور البكتاشية وربما أطلق لقب البكتاشية على الانكشارية، ويقال للإنكشارية أبناء الحاج بكتاش ولي، وكان للحاج بكتاش وكيل يقيم في ثكنات الفرقة الرابعة والتسعين واشترك البكتاشية في الفتن المتعددة التي قام بها الانكشارية .

الباب الخامس

التأثير والتأثر

☆☆☆

البعد المسيحيّ فى البكتاشية

بخلاف العلوية النصيرية بين أنطاكية وطرابلس، التي كان مغضوب عليها في زمن السلاطين، كانت العلوية البكتاشية هي الطريقة الصوفية الأكثر شيوعاً بين فيالق الجند الإنكشارية في الجيش العثماني، بل أنّ الولاء للحاج بكتاش كان شرط الانتساب إلي الإنكشارية، ولا ينفصل هذا عن التحدّر المسيحي للإنكشاريين الذين كانوا ينتزعون وهم أطفال من قراهم المسيحية في البلقان ثم يعتنقون الإسلام ويختتنون، ذلك أن الحاج بكتاش، سواء في الأناضول أو البلقان، كان شخصية مبجلة لدى المسيحيين كما لدى المسلمين، ولعبت البكتاشية دوراً حيوياً في إسلام أقوام مسيحية بكاملها عبر الزمن العثماني وعند أهل الطريقة طقوس تذكر بسر الاعتراف بالمسيحية، لكن تحت عنوان مغفرة الذنوب، وتبرك بغمس الخبز بالخمر.

أكثر من ذلك، ينبهنا المؤرخ الفرنسي آلان دوسيلييه إلى أنّ سيرة ولاية نامة وخوارق الحاج وكراماته التي جعلته قديساً في أعين المسيحيين باسم القديس خارالامبوس، وظلّ مسيحيو الأناضول يعتبرونه كذلك حتى مطلع القرن العشرين، ويشاركون المسلمين في الحج إلى ضريحه أو تربته في سيناسوس، والتبرّك به.

بالتوازي، احتضن التراث الشعري البكتاشي جملة من القديسين الشعبيين المسيحيين وفي طليعتهم القديس جاورجيوس، مثلما بجّل البكتاشيّون عدو السلطنة الأول، الشاه اسماعيل الصفوي، وفاخروا بحفظهم شعره، الذي كان يقوله بالتركمانية، في حين كان خصمه اللدود، السلطان سليم الأول ياووز، يكتب الشعر، بالفارسية!.

بكداشية ـ علوية في تركيا اليوم

مع حبّهم لاسماعيل شاه، كباقي التركمان في الأناضول، لعب البكتاشيون ، كمشايخ طريقة أو كشعراء إلى جانب السلاطين، أو كجنود انكشاريين، دوراً أساسياً في فتوحات السلطنة وحروبها، مع الصفويين أو مع الممالك المسيحية في أوروبا.

تركيا الحديثة اهتمت على سبيل المثال برعاية مقام تربة الشاعر الصوفي البكتاشي جول بابا في بودابست، الذي رافق السلطان سليمان القانوني في فتوحاته وقد انتشرت البكتاشية في الولايات العربية من السلطنة كذلك الأمر، كما لا تزال تدل ألقاب مثل بكداش ومكداشي، وتحتفظ مصر بحصة أساسية من المعالم الأثرية للطريقة، نظراً لإقامة سيدي المغاوري البكتاشي في القاهرة تكية القصر العيني، تكية قيغوسوز على جبل المقطم...).

واذا كانت البكتاشية في ألبانيا حافظت على نفسها كطريقة صوفية بالدرجة الأولى، فان البكتاشية العلوية الأناضولية في تركيا، ضعف فيها رابط الطرق التقليديّ، ولم يعد الدده هو المرجع الفعلي لها، بقدر ما انتقل المرجع للقيادات السياسية ورؤساء الجمعيات المطالبة بـحقوق العلويين الدينية والثقافية والسياسية، مثل تشريع دور عبادة خاصة بهم، الأمر الذي تحفّظ عليه رجب طيب أردوغان بشكل قوي قبل فترة، والمطالبة بحق أبنائهم في تعليم ديني مختلف في المدارس العمومية، عن التعليم الديني السني الحنفي الذي تقدّمه المدرسة العلمانية في تركيا اليوم.

تأثر دعوة اتاتورك بالبكتاشية:

أصبح النواب العلويون والبكتاشيون من كبار المساعدين لأتاتورك في المجلس ، وكان لهم دور بارز في سقوط الخلافة العثمانية والدفاع عن العلمانية بكل ما لديهم من قوة ونفوذ ووجهوا كل امكانياتهم لتنفيذ سياسة أتاتورك ، وكان لهذا الموقف من جانب البكتاشية دوراً في ميل أتاتورك للأفكار والمبادئ البكتاشية ، فضلاً عن أن أتاتورك قد ولد في مدينة سلانيك وكان للتكية البكتاشية نفوذ كبير فيها ، وقد روي أن والد مصطفى كمال علي رضا بك كان بكتاشياً ، وبسبب قرب أتاتورك من هذه الطريقة قالوا عنه ان أتاتورك منا.

وجدير بالذكر أن أتاتورك تأثر بأفكار نامق كمال الذي كان بكتاشياً و تربى في كنف جده عبد اللطيف باشا البكتاشي حيث زار معه العديد من المدن في صغره وكان نامق كمال عدواً للسلطان عبد الحميد الثاني فعاش في باريس عام ١٨٦٧ خوفاً من السلطان وأصدر جريدة الحرية ،وكان نامق كمال يعيش في المنفى مع بقية زملائه وبعذ ذلك عمل أتاتورك على اعادتهم مرة أخرى إلى تركيا وتأثر بهم كثيراً.

تطابق مبادئ الجمهورية التركية مع مبادئ البكتاشية:

احتل البكتاشيون موقع الصدارة بالنسبة للجماعات الدينية التي استعان بها أتاتورك في حرب الاستقلال وتأسيس الجمهورية التركية.

ويقول الدكتور ياشا نوري أوزتروك : ادعي كتاب ومؤرخون كثيرون أن أتاتورك كان بكتاشياً ومن هؤلاء الكتاب صابين دريكس الذي نشر كتاباً له عام ١٩٧٧ بعنوان Islam et jeunnese en Purqvie وهو من المؤلفين الذين يعتقدون أن أتاتورك كان بكتاشياً.

كذلك عالم الاجتماع الغربي جون كينجسلي برج الباحث في موضوعات العلويين والبكتاشيين في الأناضول يقول في كتابه متصوفة بكتاشية:

ان مبادئ الجمهورية التركية هي نفس مبادئ البكتاشية ، وعندما رأى البكتاشيون أن مبادئ الجمهورية هي نفس مبادئهم لم يروا حاجة في بقاء الطريقة ، فكلاهما واحد.

دور الفرس فى التشيع والتصوف

لقد كان للفرس والجنس الإيراني دور مميز خاص في التصوف والتشيع فأئمة التصوف ورواده الأول بلا استثناء كانوا من الفرس والموالي ولم يكن منهم عربي قط وقد ارتبط التشيع قديماً باسم الفرس حتى إنه لا يكاد يذكر التشيع إلا ويقترن ذكره بذكر الفرس وقد كان لذلك أسبابه الخفية بلا شك وقد كتب الدكتور كامل الشبيبي في كتابه الصلة بين التصوف والتشيع فصلاً خاصاً بذلك حيث يقول: أثر الشعب الإيراني في التشيع والتصوف: ويهمنا في هذا المجال أن نورد رأياً لبراون رواه الباحث الإيراني المعاصر الدكتور قاسم غني مؤداه أن (الإيرانيين -بعد رضوخهم لسيف العرب إثر حروب القادسية وجلولاء وحلوان ونهاوند بذلوا استقلالهم وشوكتهم عن يد وهم صاغرون، وسواء شاءوا أم أبوا دخلوا الإسلام بحكم غريزة المحافظة، غير أن العرب الذين نظر إليهم الإيرانيون بعين الاحتقار من قديم لم يستطيعوا مع غلبتهم أن يحملوا الإيرانيين على مشاركتهم طراز التفكير والعقيدة

والمنطق والآمال والمطالب الروحية، لأن التباين -شكلاً ومعنى كان عظيماً في العنصر وطريقة المعيشة والأوضاع الاجتماعية وعلى ذلك فإن انتهاء الصراع بهزيمة إيران أوجد انفعالات روحية وتأثيرات معنوية في الإيرانيين على شكل صراع فكري ظهر في التاريخ الأدبي والمذهبي والاجتماعي والسياسي، وأثر العرب في الإسلام، وكان التشيع وكذلك التصوف من أهم ردود الفعل التي أورثها هذا الصراع الفكري) .

وقد أوضح الدكتور قاسم غني هذه الفكرة وبين جوهرها بقوله: ويجب أن نبين هنا أن رد الفعل هذا لم يأت عن عمد واختيار وإرادة على خطة مرسومة يراد بها الانتقام بل كان أكثره متأنياً بحكم الانفعال النفسي وتحت تأثير العواطف والأحاسيس الخفية التي يعرفها علم النفس، أي أن ذلك قد حدث غالباً دون أن يجد له الناس علة واقعية ودون أن يحللوه، لكن ذهنهم كان مسوقاً إلى هذا العمل بهذه الطريقة ولقد نطق إيراني معاصر في صراحة وجلاء بهذه الحقيقة

واعترف بأن التصوف قد ظهر في إيران (في عصر تسلط على وطننا فيه عدو قوي، فلما لم يجد الإيرانيون قدرة على المخالفة والمبارزة سلكوا سبيل الهزيمة واتخذوا القوى الغيبية معتقداً لهم وألقوا سلاحهم في ميدان تنازع البقاء وعلى هذا فقد كان التصوف حينئذ ضرورة من الضرورات وليس اليوم كالأمس، ويجب ألا نحمل الأفكار الصوفية محمل الجد) .

لكن هذا كله لا يقدح في أن التصوف قد ظهر في سائر الأقطار الإسلامية حينئذ، لكن الواضح أيضاً أن التطور لم يخالط الزهد إلا في خراسان وعلى يد الفرس في البصرة والكوفة بل حتى في الشام حين دخلها إبراهيم بن أدهم وصحبه وينبغي أن نذكر الدور الذي قام به الفرس من إدخالهم مثلهم الدينية في التشيع الغالي الأول حين نصروا المختار، وعاضدوا حركة الغلو العجلية، وانضموا إلى حركة أبي هاشم حتى أدى بهم الأمر إلى تأليه أبي مسلم الخراساني، كما فعلوا مع أئمة الشيعة من العلويين يضاف إلى ذلك أنهم نصروا حركة عبدالله بن معاوية في فارس أيضاً

وأسبغوا عليه النور الإلهي الذي سنجده في التصوف واضحاً جلياً وهذا كله يعني أن الفرس بدأوا إضافة القداسة إلى البيت النبوي باعتبارها أساساً موازياً لأسسهم السياسية والدينية السابقة من تأليههم الملوك، وقولهم بالنور الذي ينتقل من ملك إلى آخر، فثبتت الولاية لعلي بن أبي طالب على نحو مبالغ فيه، وانتقلت هذه الولاية المقدسة مع زيادات وإضافات وحواش إلى الأئمة من بعده حتى بلغ الأمر حد التأله .

وهذه الشهادات تعني في الجملة أن التصوف والتشيع عند الإيرانيين كان دائماً وسيلة إلى غاية ولم يكن عقيدة وانتحالاً خالصاً، وهذا يصل إليه الدكتور كامل الشيبي في خلاصة بحثه حيث يقول: وقد استعان المختار بالوالي لأول مرة في تاريخ التشيع وكان ذلك من أسباب فشل حركته، وانفضاض العرب عنه، ويجب أن نلاحظ هنا أن دور الفرس في التشيع المبكر كان مؤقتاً فقد انصرفوا من بعد المختار إلى موالاة العباسيين وعادوا إلى التشيع من جديد بعد أن نزلت بهم ضربة السفاح

أولاً ثم المنصور ثم الرشيد بل وجدناهم يمنعون العلويين الخلافة حين تسلم البويهيون أزمة الحكم من العباسيين وبهذا يتبين لنا أن دور الفرس في التشيع بل في الإسلام كان مجرد وسيلة لاستعادة المجد القديم، وإلغاء التسلط العربي عن كواهلهم.

التأثير فى العلويين

شارك الصوفية في الجهاد والغزو كغيرهم من الفرق الإسلامية، ومن مآثر حاجي بكتاش أنه مجاهد حارب الكفّار وجاهد في سبيل الله، دفعاً لإساءة الكفار إلى الإسلام، ولمّا أتمّ غزواته استحقّ لقب غازي والانفتاحُ على الآخرين، وقبول التعدد كما يرد في المدونة البكتاشية لا يعنيان عدم الانتصار للذات، وما تعتقده من أفكار، فقبول المذاهب والديانات الأخرى لم يمنع مؤسس البكتاشية من حمل السلاح قربة إلى الله، بل يعد هذا من جملة مناقبه.

في الهجرة حياة جديدة، وتوطيد لدعائم الدعوة، فحينما غادر بكتاش ولي خراسان، يمم وجهه شطر النجف الأشرف لزيارة ضريح الإمام عليّ بن أبي طالب، باب مدينة العلم، وأحد أقانيم الثالوث البكتاشي الله، مُحمّد، عليّ الذي يُنظر إليه بكثير من التقديس، فهو في الأرض فارس حكيم أمير، وفي السماء مرشد يطلب منه الأولياء البكتاشيون النصح ويرشد المشايخ إلى الحقّ، ويعرّفهم بأنفسهم، ويحققون من خلاله الخلافة لله، بعد زيارة الإمام علي ذهب حاجي بكتاش إلى مكّة لأداء مناسك الحجّ، وزار مقام النبيّ الأكرم في المدينة، ثم زار المسجد الأقصى، ومن النبي الخاتم إلى الأنبياء السابقين يلتمس المدد، وكما بدأ الزيارات بعليّ انتهت بزيارة مراقد الأولياء في دمشق وحلب، ليستقر بعدها حاجي بكتاش في الأناضول، وكما توافد عليه الناس وهو في شبابه، توافدوا عليه في موطنه الجديد بسبب كراماته التي لا تنتهي، وأفعاله التي تخلقهم خلقًا جديدًا.

كان حاجي بكتاش قد قدم من خراسان إلى سيواس ثم إلى آماسيا وقيرشهر ومنها إلى قيصريه، ثم استوطن قرية صالوجه قره يوق بقيرشهر، التي طابت له مستقراً ومقاماً ونال شرف استضافة الوليّ كبير القرية آنذاك الشيخ إدريس وزوجه السيّدة فاطمة، التي ستصبح شخصية بارزة في الطريقة البكتاشية أكثر من زوجها، وبعد أن كانت عقيماً ستنجب الذكور، بفضل كرامات هذا الولي الوافد، ويمسي الأبناء علامات على الطريقة، وعلى الرغم من أن حاجي بكتاش لم يتزوج، ستنتسب إليه هذه الذّرية أبناء وحفدة، وينظر إليه بكثير من التقدير من أبناء الطريقة.

تداخل بين صوفية البكتاشيين وشيعية العلويين

كان تنظيم البكتاشية مراتبيًا، فعلى رأس الطريقة كان البير أو ده ده الجدّ ويأتي بعده الخليفة أو البابا، والبابا هي درجة المشيخة التي يُرقى إليها الدرويش بعد قضاء فترة طويلة يكون قد حصّل خلالها علوم الشريعة والطريقة، وتبحّر في معرفة الآداب وتذوّق معاني الرموز الصوفية، واستطاع تفسير غوامضها وشرحها لإخوانه، وأخذ بيدهم إلى الطريق القويم.

والده ده هو الحائز على درجة خليفة، وهذه الدرجة لا يمنحها إلا شيخ المشايخ، ومن يحصل على هذه الدرجة الرفيعة له الحقّ في حمل الأمانات المقدّسة، ويعيّن شيخًا لإحدى التكايا، كتكية مصر أو أبدال موسى سلطان أو غيرها من التكايا.

والده ده بابا شيخ مشايخ التكية البكتاشية العامة، وينتخب من بين الخلفاء، وله حقّ الإدارة وتعيين المشايخ وترقية الباباوات إلى درجة خليفة، وله حقّ عزل المشايخ وإجراء طقوس التجريد، وهو بصفة عامة القيّم على الطريقة، المحافظ عليها وعلى أموالها، والعامل على نشر التعاليم البكتاشية.

البكتاشية والعلوية اليوم:

في أيامنا هذه، يولي الباحثون المحدثون من الترك والمستشرقين عناية كبيرة بهذه الطريقة الصوفية، ويحاولون إحصاء مريديها والتعرّف على مذهبهم، وأفكارهم وماهيتهم الدينية، وبعضهم يرى أن هذه الطريقة البكتاشية العلوية دين غير سماوي استقى تعاليمه من الزرادشتية

حاول أردوغان إجراء عملية جراحية سياسية على العلويين، ويتوقع أن يكون لها انعكاسات خطيرة: ففي فهم أردوغان: العلويون الذين سيقبلون الذهاب إلى المسجد هم العلويون مع عليّ أو العلويون الجيدون وبالتالي، فإنه يغلق ضمنيًّا حق العلويين الذين يتمسكون بدور العبادة الخاصة بهم وقد ظهرت نوايا أردوغان في يوم ٢٨ مايو من قبل نائب رئيس الوزراء إيمرله آيسلر، الذي قال: لا يمكننا أن نعتبر دور عبادة العلويين هي دور عبادة؛ لأننا نعتبر العلوية تابعة للإسلام وما دام العلويون يعتبرون أنفسهم مسلمين، فإن دار العبادة في الإسلام هي المسجد. وهذا الموقف يعني بالنسبة للعلويين محاولة لتسنين العلويين، ونبذ أولئك الذين سيرفضون الإذعان لذلك فقد صرّح أردوغان عام ٢٠١٣ بأنه إذا كانت العلوية تعني محبة علي رضي الله عنه، فأنا من العلويين وفي تصريحات لاحقة، قال إنّه من الواضح أنه لن يترك عليًّا رضي الله عنه للعلويين.

لكن الأمر في البداية لم يكن على هذه الصورة، إذ لم يكن رفض زعماء حزب العدالة والتنمية إلصاق صفة إسلامي بحزبهم اعتباطاً، إنما جاء نتيجة الحاجة إلى التماسك الفكري والالتزام بالبرنامج الانتخابي المعلن للناخبين، الذين يشكّلون ألوان الطيف السياسي من الإسلاميين المحافظين إلى الاشتراكيين واليساريين الاجتماعيين، والتزاماً بشعار توفير الطعام والعمل والعدالة والحرية لأبناء الشعب كافة الذين رفعوه قبل الانتخابات التي فاز فيها بالأكثرية النسبية وقد أكد عبدالله جول نائب رئيس الحزب بعد الفوز الساحق في انتخابات ٢٠٠٢ ورئيس وزراء الحكومة التركية الثامنة والخمسين أن حزب العدالة والتنمية ليس حزبًا إسلامياً وأضاف أردوغان إلى ذلك قائلاً: إنني لست أصوليًّا متطرًّفا، إنما أنا مسلم مثل بقية المسلمين في تركيا، ومؤمن بتراث الشعب التركي وهويته التاريخية،

لذلك فإننا نحترم طراز حياة وأسلوب معيشة كل شخص في بلادنا وتؤكد نازلي اليجاق العضو في حزب العدالة والتنمية في حديثها لإحدى القنوات الفضائية التركية حول رئيسها أوردغان: إن أردوغان رجل مسلم في حياته الخاصة فهو يؤم الجوامع أيام الجمعة لأداء صلاة الجماعة، لكنه إنسان ديمقراطي، ومؤمن بالأفكار الكمالية بعد التحول الكبير في سلوكه السياسي نتيجة للانقلاب الأبيض عام ١٩٩٧، لذلك صرّح النائب مرجان عن حزب العدالة والتنمية لوكالة الصحافة الفرنسية بالقول: إن الحكومة التركية المقبلة ستستمر في السياسة الخارجية مع تعديلات طفيفة وتريد في هذا الإطار تطوير علاقاتها مع دول المنطقة ومن بينها إسرائيل .

وفي انتخابات ٣ نوفمبر ٢٠٠٢، فاز حزب الشعب الجمهوري بـ١٧٨ مقعدًا من مجموع ٥٥٠ في البرلمان، بفضل مساعدة الطرق الصوفية كالبكتاشية والقلندرية وغيرها، ويقدر عددهم بحوالي ٥ ملايين نسمة.

في مايو ٢٠١٤ نظمت الطوائف العلوية التركية مظاهرات حاشدة في ميادين المدن الكبرى وفي مقدمتها إسطنبول وأنقرة وأزمير تحت شعار كفى للظلم وانعدام الضمير، أعقبها تجمع آخر أمام البرلمان للاعتراض على ما أسمته إرهاب الدولة والهجمات التي تستهدف العلويين.

وتم توجيه دعوة لكل المواطنين للاشتراك في مظاهرات احتجاج ضد حكومة العدالة والتنمية خاصة بعد مقتل أوجور كورت دون أي ذنب واتهام رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان له بالإرهاب وإثارة الشغب.

في غضون ذلك، ذكرت شبكة إن. تي. في الإخبارية أنه تم اعتقال ٤٨ مواطناً في أعقاب المظاهرات التي شهدتها مدن تركيا احتجاجاً على مقتل مواطنين ورفع المحتجون شعارات تطالب باعتقال ومحاكمة المسئولين عن مقتل مواطنيهم.

في يوليو ٢٠١٤ حاول أردوغان طمأنة الطائفة العلوية البكتاشية، فقام بدعوة ممثلي الطائفة العلوية إلى مأدبة إفطار في القصر الرئاسي، وذلك بمناسبة شهر محرم وأتي هذا بالتزامن مع اتخاذ الحكومة الإجراءات اللازمة لتسريع عملية الانفتاح على العلويين ودُعي إلى الإفطار الذي جرى في ٢٢ يوليو رئيس بيوت الجمع البروفيسور عز الدين دوجان، ورئيس وقف أهل البيت فرماني آلتون، ورئيس فيدرالية الأوقاف العلوية جمال جانبولات، ورئيس فيدرالية العلويين البكتاشيين جنكيز هورت أوجلو، ورئيس ولي الجمعية الثقافية حاجي بكتاشي مصطفى أوز جيفان.

الباب السادس

خطورة البكتاشية

☆☆☆

خطورة البكتاشية وعقائدهم:

تكمن خطورة الطريقة البكتاشية في أن نتائجها تكون بث الوهن في عضد الإسلام من خلال:

١- بعث النزعة القومية الضيقة:التي امتطت البكتاشية صهوتها كحركة تعمل على إسقاط الخلافة العثمانية، بخلاف الحركة القومية الألبانية التي تأسست عام ١٨٧٨ وتعرف برابطة برزرن، إذ كانت الحركة القومية الألبانية فريدة في نوعها بالمقارنة مع الحركات القومية في البلدان الأخرى، حيث طالبت بوحدة الأراضي الألبانية ولم يكن جل زعمائها يرغبون في الانفصال عن الدولة العثمانية وإن كان فيهم من يرغب فى إقامة دولة مستقلة فإنما كانوا يخشون في حالة سقوط الدولة العثمانية أن توزع بلادهم بين جيرانهم الطامعين ومن هنا كانوا يرون أن التمتع بالحكم الذاتي في إطار الدولة العثمانية خير ضمان للمحافظة على شخصيتهم القومية حتى اعتلتها البكتاشية فعملت على إثارة النعرة القومية بالمعنى الجاهلي المغرض، وإن ظهر دعاتها بمظهر الغيورين على أمجاد الألبان،

ولا أدلّ على ذلك من تضامن علي باشا يانينا مع الثورة اليونانية لإسقاط الخلافة العثمانية،التي أفضت فيما بعد إلى تقسيم أوصال أراضي الألبان لليوم بين الصرب والإيطاليين واليونان.

٢- تحريف الدين: حيث تعمل على نشر الخرافة والدعوة إلى التشيع والانحلال عن الدين بتحليل الحرام وترك الفروض، فالطريقة البكتاشية مزيج كامل من عقيدة وحدة الوجود، وعبادة المشايخ وتأليههم، وعقيدة الشيعة في الأئمة يقول أحمد سري دده بابا شيخ مشايخ الطريقة: الطريقة العلية البكتاشية هي طريقة أهل البيت الطاهر رضوان الله عليهم أجمعين، ويقول أيضاً: والطريقة العلية البكتاشية قد انحدرت أصولها من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وعن أولاده وأحفاده إلى أن وصلت إلى مشايخنا الكرام يداً بيد، وكابرا عن كابر، وعنهم أخذنا مبادئ هذه الطريقة الجليلة.

والناظر في الأوراد البكتاشية يرى كيف أسست هذه الأوراد على عقيدة الشيعة الإمامية الإثني عشرية، فالورْد البكتاشي يبدأ بذِكر لله ثم للرسول ثم لعلي ثم لفاطمة ثم للحسن ثم للحسين ثم لعلي زين العابدين ثم الباقر، وهكذا إلى الإمام الثاني عشر عند الشيعة ثم الإعلان أن الذاكر بهذا الذكر متولٍّ للشيعة، بريء من جميع أهل السنة، ثم بعد ذلك ورد خاص في لعن الصديق أبي بكر رضي الله عنه، وكل من رضي وتابع له، ثم في النهاية إشهاد الله أن الخلفاء بعد الرسول هم الأئمة الإثنا عشر دون غيرهم.

ويكفي على إثبات تشيعهم ما يسمى بورد التولي والتبري فإنهم يقولون: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وما توفيقي واعتصامي إلا بالله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً والصلاة والسلام على رسولنا محمد الذي أرسله بالهدى

قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى وعلى آله وأصحابه وأزواجه الهدى يا سادتي ويا موالي إني توجهت بكم أنتم أئمتي وعدتي ليوم فقري وفاقتي وحاجتي إلى الله وتوسلت بكم إلى الله واستشفعت بكم إلى الله وبحبكم وبقربكم أرجو النجاة من الله تكونوا عند الله رجائي يا سادتي يا أولياء الله صلى الله عليكم أجمعين اللهم إن هؤلاء أئمتنا وساداتنا وقادتنا وكبراؤنا وشفعاؤنا بهم نتولى ومِن أعدائهم نتبرأ في الدنيا والآخرة والْعن من ظلمهم وانصر شيعتهم واغضب على من جحدهم وعجّل فرجهم وأهلك عدوهم من الجن والإنس أجمعين من الأولين والآخرين إلى يوم الدين اللهم ارزقنا في الدنيا زيارتهم وفي الآخرة شفاعتهم وزدنا محبتهم واحشرنا معهم وفي زمرتهم وتحت لوائهم بِمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين اللهم صلِّ على محمد وآل محمد.

قامت البكتاشية بتفسير العبادات والتكاليف الشرعية على طريقتها الخاصة فقد أباحت لأعضائها عدم تأدية التكاليف الشرعية من صلاة وصوم وغيرها كما أحلت لهم شرب الخمر وغيره من المحرمات، وفي مقابل هذا أقامت البكتاشية تكاليفها ومؤسساتها الخاصة بها (التكية) التي خلت من القبلة فاجتماعات الذكر والتذكر للمراتب المختلفة التي تنوب عن الصلاة تتخذ شكل الدائرة بحيث يقابل كل إنسان وجه آخر، وفي هذا لا يحتاج البكتاشيون للاتجاه إلى قبلة معينة اذ ليس لك أفضل عندهم من أن تقابل أو توجه ذاتك نحو إنسان آخر.

وعلى ما يبدو شجعت هذه الأمور بالإضافة إلى دعوة البكتاشية إلى وحدة الوجود قطاعاً من المسلمين من الذين بقيت فيهم رواسب المسيحية من جنود الانكشارية، حيث وجدوا في البكتاشية حلاً نوعياً يمكّنهم من الجمع بين مسيحيتهم السابقة وإسلامهم المعلن.

<u>الجمع بين القومية والتشيع:</u>

كرست البكتاشية المعاني الثورية من ثورة الحسين بن علي رضي الله عنهما لتجمع بين التشيع والانفصال عن الخلافة العثمانية، الأمر الذي شجّع العديد من قواتهم على دعم الثورة اليونانية لإسقاط الخلافة العثمانية، ومن هذا القبيل ما كتبه شاعر الأدب الألباني البكتاشي نعيم فراشري الذي عكف على كتابة ملحمة كربلاء بعشرة آلاف بيت من الشعر حيث قسمها إلى خمسة وعشرين فصلاً مرقمة بدون عناوين وختمها بالمناداة بالروح القومية للخروج عن الخلافة العثمانية.

يقول الدكتور محمد موفاكو: وبهذه الروح القومية يختتم نعيم ملحمته فهو يحاول أن يربط كربلاء وشخصياتها بشكل ما بمصير ألبانيا والألبانيين فهو يريد من الألباني أن يستلهم كربلاء لمصلحة وطنه وقوميته ليموت في سبيل وطنه كما مات المختار في سبيل الحسين

فيقول: ياالله لأجل كربلاء لأجل الحسن والحسين لأجل الأئمة الإثني عشر اللذين عانوا ما عانوه في الحياة لا تترك ألبانيا تسقط أو تدمر لتبق خالدة وليكن لها ما تريد ليبق الألباني بطلاً كما كان ليحب ألبانيا ليمت في سبيل وطنه كما مات المختار في سبيل الحسين!.

٣- تبني الاتجاه العصراني: لما كان مفهوم العصرانية كحركة هو تطويع مبادئ الدين لقيم الحضارة الغربية وفق آليات تعتمدها الجهات المستفيدة من هذا التطويع وهي حتماً لا تلبس لبوس الإسلام افتقرت الحركة إلى مطيّة تصلح لهذا الغرض، وقد وجد الغرب ضالته في بعض الفرق والطوائف لتكون باباً يُمرِّر من خلاله ثقافته، ويؤكد هذا ما جاء في توصيات تقرير مؤسسة راند بدعم الاتجاهات المنحرفة لتمرير مفاهيم العلمانية، كيف لا والبكتاشية لا ترى فروقاً بين المسلمين وغير المسلمين حتى أنها تسمح لمن هم على غير ملة الإسلام بالانضمام إليها، ويحتفلون بالأعياد المسيحية خاصة عيد الفصح، كما يقدسون أضرحة الديانات الأخرى

وقد قيل أن تكايا البكتاشية الموجودة في ألبانيا كانت تضم إليها حوالي خمسين إلى ستين مريداً نصرانياً، كما أنهم لا يرون ضرورة لوجود الخلافة، بل إنها ترفضها وتعتقد أنه ينبغي ألا توجد خلافة من الأساس، لأنها باتفاقهم تجلب المظالم والطغيان والجور.

وقد شهد تاريخ الطريقة البكتاشية تحالفها مع غير المسلمين ورفضها للخلافة بتعاونها مع حركة تركيا الفتاة في اتجاه الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني وقد كان هذا التعاون مرشحاً لبروز تقارب بين الحركتين لا سيما أن بعض رموز حركة تركيا الفتاة مثل طلعت باشا وأحمد رضا كانوا ينتمون إلى البكتاشية.

وقد أشار الأستاذ ج كايتانوا في كتابه تاريخ الحركات الدينية في البلقان إلى أن البكتاشية مثلها مثل الحركات الدينية قامت في شكل أحزاب معارضة للحكم العثماني وتعاونت فيما بينها واقتبست كل واحدة من مبادئ الأخرى وكان التعاون عميقاً بين البكتاشية والجمعية اليهودية السبتاتية جمعية الدونمة.

وهذا الذي يفسر توسع نفوذ البكتاشيين في عهد مصطفى كمال أتاتورك :فيتبين من علاقتهم بأتاتورك وتقربه إلى هذه الطريقة للاستفادة من تأثيرها الديني وكثرة أتباعها الذي كانوا يقدرون بالملايين، وقد قام أتاتورك بزيارة تكية البكتاشية الكائنة في قيصرية وكان جمال الدين أفندي هو شيخ الطريقة في ذلك الوقت، وكان يتزعم ستة ملايين بكتاشي في الأناضول، وكان نائب مدينة قير شهر في البرلمان التركي عند افتتاحه عام ١٩٢٠م وكان أيضا نائب رئيس البرلمان، والشخص الثاني في الطريقة بعده يدعى صالح نهازي بابا ويقوم مقام البابا في الطريقة وكان العلويون عامة والبكتاشيون خاصة لا يخرجون عن طوع هذين الرجلين.

وبعد وفاة جمال الدين عام ١٩٢٢ خلفه على الطريقة أخوه ولي الدين وألقى خطاباً في البرلمان التركي كشف فيه عن مساندة العلويين والبكتاشيين لحكومة الجمهورية بقيادة أتاتورك، وأهم ما جاء فيها: إلى كل المحبين المخلصين لجدي حاجي بكتاش ولي إن تصريحات وبيانات الفاتح مصطفى كمال باشا الجليل رئيس مجلس الأمة التركي تبعث الشرف للأمة الإسلامية كلها وتضمن إحياء واستقلال أمتنا وكلها معلومة لدينا جميعا، وأنه من الواجب علينا تنفيذ كل مطالب الفتاح الباشا بخصوص رقي وعلو هذا الوطن، وجميع أفكاره صائبه وأن من ينكر هذا فلا علاقة لنا به أبداً.

البكتاشية المرشح المحتمل لمقارعة السلفية:

الخيارات المطروحة من الخليط الإسلامي الأكثر تماشياً مع السلم العالمي والمجتمع الدولي، المُحبّة للديمقراطية والحداثة، والقادر على الوقوف في وجه المد السلفي في البلقان؛ هو ما يسمى بـالإسلام التقليدي الذي تردد كثيرا على ألسنة المنادين به في الآونة الأخيرة، تدعمهم جحافل البكتاشية بمباركة غربية وهي شنشنة نعرفها من أخزم؛ يقول الدكتور أحمد عبد الرحمن القاضي: وهو أسلوب ينتهجه الغرب لمواجهة المد السلفي، في محاولة لنفخ الروح في الرمم البائدة للطرق الصوفية، لمزاحمة التيار السلفي الفطري فلم يزل أعداء الإسلام، يجدون في الصوفية، مأوى لكل حدث، ونجس موَّلوا بناء أضرحتهم، وأعادوا طباعة كتبهم، وأقاموا لأجلهم الندوات والمؤتمرات، وأنشأوا لهم المراكز التعليمية.

ويجري برنارد لويس، مقارنة بسيطة، فيقول: هل نحن كأمريكيين سندعم الصوفيين، أم سنعمل مع الوهابيين؟ إذا عملنا مع الوهابيين، فإننا سنخاطر، بينما ليس هناك خطر مع الصوفيين ويقول ستيفن شوارتز: يجب على أعضاء السلك الدبلوماسي الأمريكي في المدن الإسلامية، من بريشتينا في كوسوفو، إلى كشغار في غرب الصين، ومن فاس في المغرب، إلى عاصمة إندونيسيا جاكرتا أن يضيفوا الصوفيين المحليين على قائمة زياراتهم الدورية.

وتقول ميرندا فكرز: تاريخياً، كان هناك نوعان من الإسلام المعتدل في ألبانيا البكتاشيين والسنة (الأحناف) وعلى الرغم من أن البكتاشية من عموم الشيعة غير التقليدية القائلين بوحدة الوجود في الإسلام وأن الله يمكن أن يُرى في الطبيعة والحيوانات فضلاً عن البشر فإن البكتاشية أغضبت المسلمين المحافظين بتجاهل القواعد الإسلامية الأكثر تقليدية، مثل الامتناع عن الكحول،

وحجاب المرأة، ووجوب التوجه نحو مكة المكرمة في الصلاة، كما أنهم تاريخياً، دعوا الشيعة للانتقام من السلطة العثمانية السنية، ونادوا بالتسامح مع جميع الأديان غير الإسلامية وهذا ما يفسر، جزئياً، سبب نمو الطائفة نمواً مطرداً في ألبانيا، كما سهل تعاونها مع الكاثوليك في الشمال والأرثوذكس في الجنوب على حد سواء.

وفي عام ١٩٢٠، كتبت امرأة إنجليزية تدعى مارجريت هازلوك، دراسة مفصلة عن البكتاشيين في ألبانيا ولاحظت فيها أن البكتاشية كانت عاملاً قوياً في صناعة التاريخ والسياسة الألبانية، حيث عملت على مصالحة الإسلام والمسيحية لدرجة كافية بأن يتناسوا العمر الطويل من الكراهية، ويتعايشون بذات القوة ضمن ذلك الدين.

كما كان للبكتاشية الريادة في الحركة الوطنية الألبانية المناهضة للعثمانية في القرن التاسع عشر، وحافظت تاريخياً على بنية مؤسسية منفصلة عن المشيخة الإسلامية الرسمية في ألبانيا.

وأفضل القول في وصف البكتاشية بأنها اليوم دين الأرياف والقرى، على العكس من الإسلام السني الذي عزز وجوده في البلدات والمدن وبالرغم من أن هناك فرقاً باطنية من الصوفية والدراويش مثل الطريقة الخلوتية ، والقادرية، والرفاعية، والتيجانية، والسعدية، التي كانت حاضرة في ألبانيا منذ قرون ولديهم تكاياهم الخاصة، ولهم علاقات جيدة مع البكتاشيين، إلا أن هذه الأخيرة تتهم بأنها تميل إلى احتكار المشهد الباطني بأكمله.

لكن بعد فتح المجال لسفر الآلاف من الشباب الألباني المسلم السني إلى الدول العربية والآسيوية منذ منتصف عام ١٩٩٠م بعد حصولهم على منح تعليمية، حيث درسوا وتبنوا مدارس دينية أخرى مخالفة للمذهب الحنفي السائد في منطقة البلقان، هيمن هؤلاء الطلاب على العديد من المساجد والمدارس والمؤسسات الإسلامية في ألبانيا، حيث تشق الدعوة الأصولية طريقها بين المسلمين في ألبانيا في مجالين رئيسيين هما: تدريب الأئمة، وتوزيع المؤلفات الدينية.

وهذا يعكس أوجه قصور خطيرة في موارد وأنشطة المشيخة الإسلامية الألبانية، التي تعاني من متاعب في تمويل وتدريب الأئمة، الأمر الذي أدى إلى تكوين جماعتين متنافستين داخل المشيخة الإسلامية وهما:

هيئة تمثيلية رسمية فضفاضة تدير أنشطة المساجد في البلاد، تتبنى المذهب الحنفي وتدعو إلى تفسير تقليدي أكثر ليبرالية للإسلام؛ والجماعة السلفية وهي المدرسة المتزمتة المناهضة للحداثة، وتعزز من التفسير الصارم للعقيدة الإسلامية.

وقد تطور خلال السنوات القليلة الماضية نزاعات بين كبار مؤيدي المذهب الحنفي، والشبان الذين عادوا من التعليم الديني في البيئات الإسلامية الراديكالية على نحو متزايد، من أنصار المدرسة السلفية الأقل تسامحاً والأكثر تطرفاً للإسلام وقد أقلقت هذه المشاكل أعضاء المشيخة البكتاشية الألبانية التي تمارس النموذج الأكثر ليبرالية للإسلام،

حيث وضعتهم في مواجهة مباشرة مع أنصار السلفية وإن كانت لا تزال قليلة نسبياً لكن الأحداث ستحملهم على التعامل مع هؤلاء الشباب بعين الريبة على أنهم إرهابيون محتملون .

تشعر القيادات الأوربية بالحرج من ولادة دول أوربية بأغلبية مسلمة في العقدين الأخيرين، البوسنة، وكوسوفا، ومن قبلهم ألبانيا خصوصاً عند النظر إلى تنامي أعداد المسلمين الملتزمين، وانعكاسات ذلك على دول الجوار بلغاريا، مقدونيا، صربيا، واليونان التي تشكل جبهة المواجهة المكلفة بوقف الهجرة الإسلامية إلى أوروبا .

فعلى الرغم من أن دول الغرب لا يظهرون للألبان كأوروبيين أصليين من العداء ما يظهرونه للجاليات الإسلامية في بلدانهم، إلا أنهم لا يخفون رغبتهم في التصدي لتزايد انتشار الالتزام بتعاليم الإسلام بين المجتمعات الألبانية، وفرض أنماط الحياة الغربية على المجتمع الألباني التي تتعارض مع قيمه الحضارية والثقافية، كشرط لقبولهم في المجتمع الأوروبي.

فمع تزايد التوجهات الإسلامية على اختلاف مذاهبها ومشاربها منذ سقوط الشيوعية في مناطق الألبان وازدياد عدد أتباعها، سعت القيادات الأوروبية ضمن مشروعها المسمى: تعزيز التكامل ومواجهة التطرف، إلى إيجاد بدائل من داخل توجهات الإسلام التقليدي الموروث كالبكتاشية أو حتى تلك التي تتسمى بالإسلام وتضمر له العداء للوقوف في وجه الصحوة الإسلامية والدعوة السلفية.

والبكتاشية خير من يمكن ترشيحه لمثل هذه المهمة فأفكارها المنحرفة وتاريخها الملوث، أدت دوراً فاعلاً باسم القومية في صياغة الوضع السياسي الألباني خلال فترة تمكنها بقيادة علي باشا يانينا، وهي ترسخ المفاهيم العصرانية المناهضة للشريعة، كما أن عقيدتها الباطنية الرامية إلى الانحلال من التكاليف الشرعية تعد ميزة لها في نظر العلمانيين، ولهذا التلون في عقيدتها ومنهجها حرص الغرب على استعمالها كوسيلة لإضعاف الإسلام في بلاد الألبان ولا يزال الغرب يتوسم فيها القدرة على التأثير في الإسلام سلباً، ولعرقلة جهود المسلمين عن قيامهم بأمر هذا الدين.

- تطويع الإسلام بكل وسائل التحريف والتأويل والسفسطة لكي يساير الحضارة الغربية فكراً وتطبيقاً.

- إنكار السنة إنكاراً كلياً أو شبه كلي.

- التقريب بين الأديان والمذاهب، بل بين الإسلام وشعارات الماسونية.

- تبديل العلوم المعيارية أصول الفقه، وأصول التفسير، وأصول الحديث تبديلاً تاماً، وفرّعوا على ذلك إنكار الإجماع والاعتماد على الاستصحاب الواسع والمصالح المرسلة الواسعة كما يسمونها في استنباط الأحكام واعتبار الحدود تعزيرات وقتية.

- الإصرار على أن الإسلام ليس فيه فقه سياسي محدد وإنما ترك ذلك لرأي الأمة، بل وسعوا هذا فأدخلوا فيه كل أحكام المعاملات فأخضعوها لتطور العصور وجعلوا مصدرها الاستحسان والمصالح الواسعة.

- تتبع الآراء الشاذة والأقوال الضعيفة والرخص واتخاذها أصولاً كلية وهم مع اتفاقهم على هذه الأصول في الجملة تختلف آراؤهم في التطبيقات، وبعضهم قد يحصر بحثه وهمه في بعضها، وهذا الاتجاه على أية حال لا ضابط له ولا منهج، وهدفه هدم القديم أكثر من بناء أي شيء جديد[١]

١_ظاهرة الإرجاء -الشيخ سفر الحوالي صفحة ٨٥ -٨٦ .

أهم المصادر والمراجع

١- الفكر الصوفي في ضو الكتاب والسنة - عبد الرحمن عبد الخالق.

٢- محمد علي باشا وجهة نظر عثمانية - محمود السيد الدغيم.

٣- البكتاشيّة - المعجم الكبير، مجمع اللغة العربية.

٤- البكتاشية -محمود عكام .

٥- البكتاشية- وسام سعادة .

٦- موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي- حمدي عبد الله الشرقاوي .

٧- تاريخ عجائب الآثار، الجبرتي.

٨- تاريخ الدولة العلية العثمانية- د. على الصلابى.

٩- الكنز المرصود في قواعد التلمود - ترجمة من اللغة الفرنساوية الدكتور يوسف حنا نصر الله.

١٠- مجلة المنار .

١١-الرسالة الأحمدية- البكتاشي أحمد سري.

١٢- عجائب المقدور في نوائب تيمور- أحمد بن محمد بن عربشاه الدمشقي.

١٣-كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- المقريزي.

١٤-العثمانيون في التاريخ والحضارة، د. محمد حرب.

١٥-تاريخ مصر - عبد الله بن رضوان.

١٦- قاموس الأعلام - شمس الدين سامي.

١٧-الإسلام في أوربا المتغيرة - الدكتور محمد موفاكو.

١٨-بكتاشية الانكشارية والوقائع الشرعية –هاجامور أوغلى.

الفهرس